البدل المطابق وأثره في تماسك النظم في سورة البقرة

(البحر المحيط والتحرير والتنوير نموذجا)

دراسة بلاغية موازنة

إعـداد

دكتور/ شحاتة عبد الرازق أبوشوشة

أستاذ البلاغة والنقد المساعد - كلية الدراسات الإسلامية

والعربية بالإسكندرية-جامعة الأزهر.

١٤٤٦ هـ- ٢٠٢٤م

ض

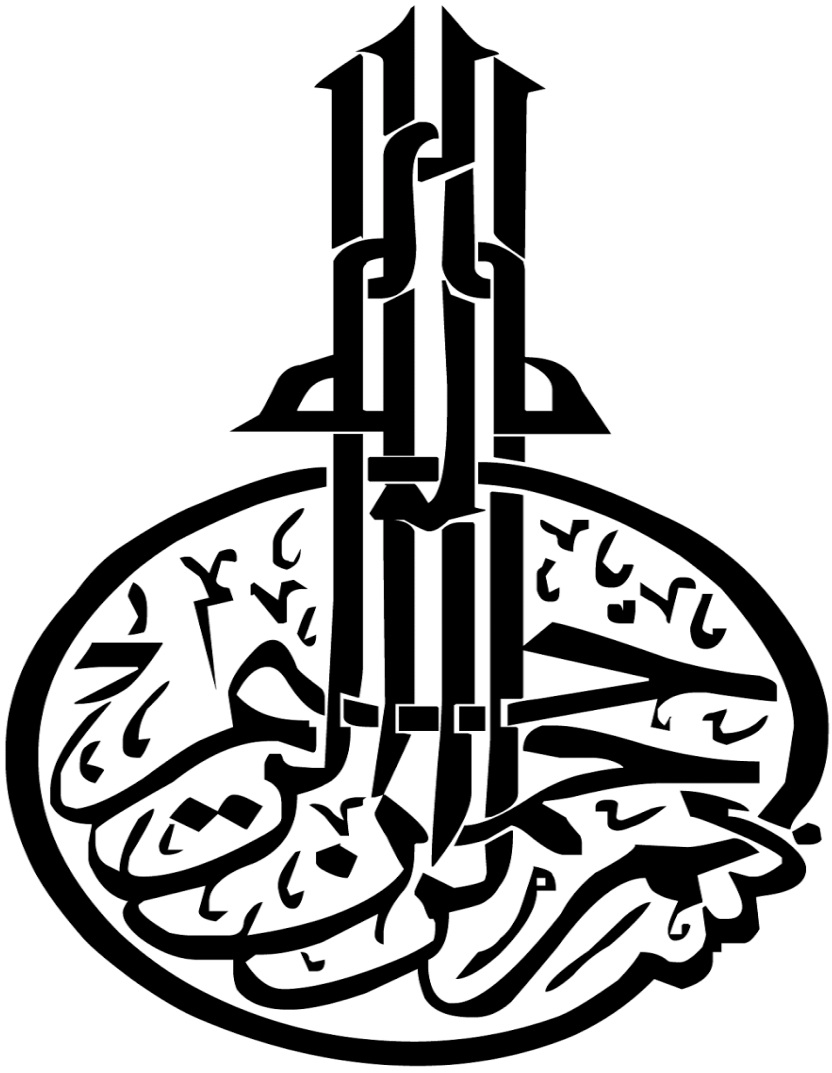

البدل المطابق وأثره في تماسك النظم في سورة البقرة
(البحر المحيط والتحرير والتنوير نموذجا) دراسة بلاغية موازنة

شحاتة عبد الرازق أبوشوشة
قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإسكندرية جامعة الأزهر
البريد الإلكتروني:
Shehata.Abdelrazek@azhar.edu.eg

الملخص:

فقد نشأت علوم البلاغة وتطورت مرحلة بعد أخرىٰ، حيث كانت قبل نزول القرآن الكريم نقدات ذوقية تعتمد علىٰ السليقة التي بلغت في هذا المجتمع عند نزول القرآن من التمكن والرسوخ في البلاغة والبيان مبلغا لم يبلغه المجتمع العربي في أي عصر آخر. ثم بدأت مراحل تأسيسها علىٰ يد الجاحظ ثم مدرسة عبد القاهر الجرجاني التحليلية التعليلية، ثم المدرسة التعليمية السكاكية وشراح مفتاحه، فنشأت واكتملت أركانها في رحاب البيان القرآني الكريم الذي كان له تأثير كبير في نشأة هذا العلم وتطوره.

ويقيني أن البلاغة القرآنية هي أوسع الأبواب للتجديد في مناهج علوم البلاغة ومباحثها وقضاياها، وبخاصة فيما يتعلق منها بالبحوث الموازنة بين عطاءات المفسرين الذين لهم توجهات نحوية وبلاغية، وانطلاقا من هذا اليقين تناولت في هذه الدراسة البدل المطابق في سياق سورة البقرة وأثره في تماسك النظم وترابطه من حيث الشكل والدلالة علىٰ المعنىٰ، وإبراز تناول هذا اللون من البدل بين المفسرين الكبيرين أبي حيان الأندلسي (المتوفي في عام ٧٤٥)، والطاهر بين عاشور (المتوفي ١٣٩٤ه)، ، وملامح ذلك التناول في تفسير (البحر المحيط)، وبين من جعل البيان

البلاغي سبيلا لتناول آيات الذكر الكريم شرحا وتفسيرا في (التحرير والتنوير) وبيان سمات كل منهج منهما اتفاقا واختلافا.

وبنيت دراستي علىٰ مقدمة وثلاثة مباحث: المبحث الأول: تماسك النص في التراث البلاغي ودور الإعراب والبدل في ذلك. والمبحث الثاني: البدل المطابق المتفق عليه بين الشيخين وأثره في تماسك النظم في سورة البقرة. المبحث الثالث: البدل المطابق المختلف عليه بين الشيخين وأثره في تماسك النظم في سورة البقرة. ثم خاتمة بأهم نتائج البحث، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع

الكلمات المفتاحية: البدل المطابق - تماسك النظم -سورة البقرة-البحر المحيط -التحرير والتنوير - دراسة بلاغية .

The corresponding allowance and its impact on the cohesion of systems in Surat Al-Baqarah (the ocean sea - liberation and enlightenment as a model) A balanced rhetorical study.

Shehata Abdel Razek Abu Shusha
Department of Rhetoric and Criticism - Faculty of Islamic and Arabic Studies in Alexandria, Al-Azhar University
E-mail: Shehata.Abdelrazek@azhar.edu.eg

Abstract:

The field of rhetoric has developed and evolved gradually, with its roots predating the Quranic revelation, relying primarily on natural, intuitive critiques that reached their peak during the Quran's revelation, a peak unmatched in any other era of Arab society. The formal establishment began with Al-Jahiz, followed by the analytical-explanatory school of Abdul-Qahir Al-Jurjani, and subsequently the educational school of Al-Sakkaki and his commentators. This development culminated within the Quranic eloquence, significantly influencing the science's growth.

Quranic Rhetoric

I firmly believe that Quranic rhetoric offers the most extensive opportunities for innovation in rhetorical methodologies, discussions, and issues, especially concerning comparative research between interpreters with grammatical and rhetorical inclinations.

This study examines the "identical apposition" within the context of Surat Al-Baqara, its effect on text cohesion and interconnectivity in terms of form and meaning, and highlights the differing interpretations between Abu Hayyan Al-Andalusi (d. 745 AH) and Al-Tahir ibn Ashur (d. 1394 AH). The study compares their approaches in "Al-Bahr Al-Muhit" and "Al-Tahrir wal-Tanwir," analyzing their

methodological agreements and differences .The study is structured into an introduction and three main chapters - : Chapter 1: Textual Cohesion in Rhetorical Tradition and the Role of Grammar and Apposition.

- Chapter 2: Agreed-upon Identical Apposition Between the Two Scholars and Its Impact on Cohesion in Surat Al-Baqara - .Chapter 3: Disputed Identical Apposition Between the Two Scholars and Its Impact on Cohesion in Surat Al-Baqara.

The study concludes with the key findings and a list of significant sources and references

Keywords: Matching allowance - Coherence of systems - Surat Al-Baqarah - The ocean sea - Liberation and enlightenment - A rhetorical study.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، حمدا طيبا مباركا فيه، ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما شاء الله من شيء بعد. والصلاة والسلام علىٰ النبي الأكرم، والرسول الأعظم، صلىٰ الله عليه وسلم في الأولين وفي الآخرين وفي الملأ الأعلىٰ إلىٰ يوم الدين.

وبعد:

فقد نشأت علوم البلاغة وتطورت مرحلة بعد أخرىٰ، حيث كانت قبل نزول القرآن الكريم نقدات ذوقية تعتمد علىٰ السليقة التي بلغت في هذا المجتمع عند نزول القرآن من التمكن والرسوخ في البلاغة والبيان مبلغا لم يبلغه المجتمع العربي في أي عصر آخر.

ثم بدأت مراحل تأسيسها علىٰ يد الجاحظ ثم مدرسة عبد القاهر الجرجاني التحليلية التعليلية، ثم المدرسة التعليمية السكاكية وشراح مفتاحه، فنشأت واكتملت أركانها في رحاب البيان القرآني الكريم الذي كان له تأثير كبير في نشأة هذا العلم وتطوره.

ولا تخفىٰ الجهود الكبيرة لعلماء الإعجاز والتفسير في تأسيس هذا العلم الشريف، ومن أشهرهم وأوفرهم عطاء الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني برسائلهم الثلاثة في إعجاز القرآن الكريم، وكتاب دلائل الإعجاز الذي تناول فيه عبد القاهر قضية النظم ومزاياه حسب المعاني والأغراض، ثم جاءت مدرسة السكاكي التي اعتمدت الشواهد القرآنية منهجا، حتىٰ بلغت في مفتاح العلوم ما يزيد عن خمسمائة شاهد، بينما بلغت شواهده الشعرية ما يزيد عن مائتين وخمسين فقط، مما يبرز اهتمامه الشديد بالبيان القرآني الكريم، وإظهار بلاغته وأسرار إعجازه.

ولم تتوقف هذه المسيرة المشرقة للبلاغة القرآنية حتىٰ عصرنا الحديث، فرأينا الشيخ العلامة الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير يولي قضية الإعجاز اهتماما كبيرا، إذ جعل من أغراض تفسيره بيان وجوه إعجاز القرآن الكريم، وبلاغة أساليبه، وفي مقدمته العاشرة تناول جملة من مباحث الإعجاز.

وهذا العلامة مصطفىٰ صادق الرافعي في كتابه (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) يواجه فكرا آسنا يحاول طمس هوية الأمة، وتشويه ثقافتها المشرقة، وسلخها من عقيدتها ومبادئ دينها، وتوجيه أصابع الاتهام إلىٰ القرآن الكريم وبلاغته، فاستل سيفه وانبرىٰ يتناول لغة القرآن الكريم وبلاغته وأسرارها، وأصوات حروفه، وحروف كلماته، وكلمات جمله، وأسلوبه ونظمه، وغرابة أوضاعه التركيبية، فقدم للأمة عملا عصريا، ونفثة من سحر أسلوبه الرصين المطبوع، ووقفة صلدية في مواجهة موجة التغريب والتضليل.

ثم جاءت كتابات سيد قطب في (التصوير الفني في القرآن الكريم) وفي (مشاهد يوم القيامة في القرآن) وفي تفسيره الفريد (في ظلال القرآن الكريم) التي تناول فيها نواحيَ جديدة في نظم القرآن الكريم وأسرار بلاغته، بمداد قلمه الفريد، الذي يتسم بالسلاسة والعذوبة الأدبية المحببة للذائقة المعاصرة، ثم جاءت البحوث والدراسات في البلاغة القرآنية تترىٰ.

ويقيني أن البلاغة القرآنية هي أوسع الأبواب للتجديد في مناهج علوم البلاغة ومباحثها وقضاياها، وبخاصة فيما يتعلق منها بالبحوث الموازنة بين عطاءات المفسرين الذين لهم توجهات نحوية وبلاغية، ففي تدبر لمحاتهم البلاغية وتناولهم القضايا البيانية في رحاب سياق البيان الكريم وأسراره ميدان خصب يمكنه أن يمد التراث البلاغي بدراسات عصرية ملهمة، بالإضافة إلىٰ إبراز الجانب التربوي للبلاغة

العربية الذي نشأت عليه، وأمدت أجيال الأمة بالقيم القرآنية والنبوية والإنسانية التي حفظت لها عقيدتها ومبادئها ووجهها الوضاء بين الأمم.

وانطلاقا من هذا اليقين تناولت في هذه الدراسة البدل المطابق في سياق سورة البقرة وأثره في تماسك النظم وترابطه من حيث الشكل والدلالة علىٰ المعنىٰ، وإبراز تناول هذا اللون من البدل بين المفسرين الكبيرين أبي حيان الأندلسي (المتوفي في عام ٧٤٥)، والطاهر بين عاشور (المتوفي ١٣٩٤هـ)، وملامح ذلك التناول بين من اتخذ المنهج النحوي وجهة لتفسير القرآن الكريم، وما وراء ذلك من نكات بلاغية وذلك في تفسير (البحر المحيط)، وبين من جعل البيان البلاغي سبيلا لتناول آيات الذكر الكريم شرحا وتفسيرا في (التحرير والتنوير) وبيان سمات كل منهج منهما اتفاقا واختلافا.

واخترت البدل لكونه أحد الأساليب المهمة في ترابط النصوص وتلاحمها، واصطفيت لتطبيق هذه الدراسة سورة البقرة لكونها أطول سورة قرآنية، وهي مع ذلك كأقصر سورة في تماسك نظمها وانسجامه وسبكه، وكان للبدل دور جلي في هذا السبك والترابط، ومن ثم توجهت الدراسة إلىٰ بيان ذلك وتوضيحه.

ومن أسباب اختياري للبدل المطابق الحرص علىٰ دراسة أثره في ترابط النظم الذي ورد فيه دراسة عميقة تتخذ من تحليل مواقعه متكأ لبيان ذلك وإيضاحه، بالإضافة إلىٰ أن الجهد والوقت قد لا يسعفاني بدراسة جميع أنواع البدل، ولعلي بذلك أفتح الباب لزملائي من الباحثين باستكمال هذه الأنواع التي يحتاج القيام بها إلىٰ رسائل جامعية تجمع شواهده، وتناقش مواقعه في كتب التفاسير المختلفة.

وستتناول الدراسة مواقع البدل المطابق في السورة الكريمة، مستهلة بدراسة سياق الآية ووجه ارتباطها بما قبلها، ثم دراسة أثر البدل المطابق في تماسك النص

لفظا ومعنىً، بادئا بالبحر المحيط، ومثنيا بالتحرير والتنوير، والموازنة بين منهجية الشيخين الكريمين في تناولهما للبدل وبيان أثره.

ولم تقع يدي –فيما أعلم– علىٰ أية دراسة تناولت هذا الموضوع، اللهم إلا دراسة بعنوان (البدل المفرد في القرآن الكريم مواقعه وأسراره البلاغية)(١)، وثانية بعنوان (مواقع البدل الجملة في القرآن الكريم مقاماته وسماته البلاغية)(٢) وهما تتناولان نماذج من البدل وفق منهجي بحثيهما، ولم يتطرقا إلىٰ قضية دور البدل في التماسك النصي، وثالثة بعنوان: (البدل المطابق في العربية أشكاله التركيبية ودوره في أداء المعنىٰ: سورة البقرة نموذجا)(٣) وجعل الفصل الأول للبدل وأقسامه، وخصص الفصل الثاني للبدل وشواهده في كتب النحو، وكان الفصل الثالث لنماذج من البدل وتراكيبه النحوية، وجلي أنها دراسة مستغرقة في تناول الوجهة النحوية، ومن ثم كانت الحاجة إلىٰ موضوع دراستنا ماسة، والقيام له ضرورة.

وبنيت دراستي على مقدمة وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تماسك النص في التراث البلاغي ودور الإعراب والبدل في ذلك.

المبحث الثاني: البدل المطابق المتفق عليه بين الشيخين وأثره في تماسك النظم في سورة البقرة.

---

(١) رسالة دكتوراه/ للباحث/ وليد إبراهيم حمودة طلبة/ جامعة الأزهر/ كلية اللغة العربية بإيتاي البارود/ ٢٠٠٨م.

(٢) رسالة دكتوراه/ للباحث/ إسماعيل رفعت إسماعيل السوداني/ جامعة الأزهر/ كلية اللغة العربية بالمنوفية/ ٢٠١١م.

(٣) رسالة ماجستير/ للباحث/ محمد سالم حمود الصرايرة/ الجامعة الهامشية-الأردن-٢٠١٥م.

المبحث الثالث: البدل المطابق المختلف عليه بين الشيخين وأثره في تماسك النظم في سورة البقرة.

ثم خاتمة بأهم نتائج البحث، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع، سائلا ربي أن يجعل هذه الدراسة هادية إلىٰ دراسات مقارنة بين القضايا البلاغية في أسفار المفسرين، وأن يرزقني الصواب والتوفيق والقبول، وصل اللهم علىٰ سيد الثقلين وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول: نظرية تماسك النص في التراث البلاغي، ودور البدل فيها:

في هذا المبحث سأتناول بإيجاز قضايا ذات تأثير في اتساق هذه الدراسة وانسجامها، الأولىٰ: تماسك النص وترابطه في التراث البلاغي، الثانية: أثر الإعراب في تماسك النص وإظهار المعنىٰ، الثالثة: البدل وأثره في تماسك النص شكلا ومضمونا. الرابعة: منهج كل واحد من الشيخين. والخامسة: نماذج من آليات تماسك النظم في سياق سورة البقرة ووسائله. بادئا بتناول القضية النقدية (تماسك النص وترابطه) والتنبيه علىٰ ما يتعرض له التراث البلاغي من تشويه وتهوين في مقابل الاهتمام بتراث الغربيين والاحتفاء به، مما يوقع النشء وغير المتخصصين في رذيلة احتقار التراث ووسمه بالرجعية والتخلف، وهذا من الخطر بمكان علىٰ الدين والدنيا معا.

تماسك النص وترابطه في التراث البلاغي:

تتميز النظرية البلاغية بشمولها وتكاملها، حيث تناولت جوانب متعددة من التعبير اللغوي، بدءًا من المعنىٰ والدلالات، مرورًا بالأسلوب والتعبير، وانتهاءً بالجماليات والإيقاع. وتعد قضية ترابط النظم أو تماسك النص وتلاحمه من القضايا التي تلبث أمامها علماء العربية المؤسسون كثيرا، وقد حفل التراث البلاغي بما يؤكد أنه شرط البلاغة وميدان تفاوت المبدعين، فالجاحظ (ت ٢٥٥هـ) يقول: (أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، كأنّه قد سُبك سبكًا واحداً، فهو يجري علىٰ اللسان كما يجري فرس الرِّهان)(١) تجلت من قوله رؤية نقدية عميقة، تحدد أعلىٰ الشعر وأجوده في ثلاثة محددات: تلاحم الأجزاء، سهولة المخارج، سبكه سبكا واحدا، ولا يعني هذا أنه يولي عنايته بالألفاظ دون المعاني، لأن صحة المعنىٰ يؤدي إلىٰ تماسك اللفظ، واضطراب المعنىٰ يقلق اللفظ ويهلهله.

(١) البيان والتبيين/ ١/ ٧٥/ دار الهلال-بيروت -١٤٢٣هـ.

وبرزت هذه القضية ونمت في الفكر العربي، وصارت من ركائز البلاغة العربية والنقد الأدبي، فهذا ابن طبا طبا (ت ٣٢٢هـ) يرىٰ أن المبدع للنص الشعري كالنساج الحاذق والنقاش الرفيف، وناظم الجوهر(١)، وعمل الثلاثة مهارة نفيسة تفويفا ووشيا، ونقشا وصبغا، وتأليفا وتنسيقا، وهذا ما ينسج عليه النص الأدبي فينقش ويوشىٰ وينسق فيؤدي ذلك إلىٰ تلاحم أجزائه وتناسق جواهره.

وذكر عددا من الشروط التي تؤدي إلىٰ انسجام النص وتوافقه، قائلا: (ينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف علىٰ حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ويتصل كلامه فيها، ...)(٢) وبدأت هنا بروز اللمحة الذكية إلىٰ انتظام المعاني المترتب علىٰ حسن التأليف والتنسيق والترتيب، وهي قضايا ذات تأثير كبير في توجه النقاد والبلاغيين من بعده إلىٰ تناولها بشيء من البيان والتوضيح والتقعيد، كما أن إثارته لها تنم عن عقلية بلغت مبلغا في إثارة قضايا لا يزال يدور حولها اللسانيون المعنيون بتماسك النص وترابطه.

وأما أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) فيرىٰ أن حسن التأليف هو ما يزيد المعنىٰ وضوحا وشرحا، وأن سوء التأليف يؤدي إلىٰ خفاء المعنىٰ ورفض قبوله، فحسن الرصف –عنده– يتجلىٰ في وضع الكلمات في مواضعها، وتمكينها منها، ولا يستعمل تقديم وتأخير، أو حذف وزيادة إلا بشرط عدم إفساد الكلام، وإخفاء المعنىٰ(٣).

---

(١) ينظر/ عيار الشعر/ ١١/ ت/ عباس عبد الستار/ ونعيم زرزور/ دار الكتب العلمية–بيروت لبنان.

(٢) عيار الشعر/ ١٢٩.

(٣) كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر/ ١٦١/ عيسىٰ البابي الحلبي١٣٧١هـ–١٩٥٣م.

ويعد الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) أبرز من تناول هذه القضية وأظهر معالمها وكشف عن كثير من جوانبها، من خلال تقريره مفهوم النظم الذي يؤكد أن الكلام أو العبارة أو الجملة وحدة متماسكة العناصر، متحدة الأجزاء، مرتبطة المكونات، فيشد بعضها بعضا، ويتعلق ثانيها بأولها وهكذا.

ووفق رؤية الإمام عبد القاهر فلا اعتبار للمفردات من حيث هي مفردات، وإنما من نظمها علىٰ هيئة مخصوصة، ومن تأليفها تأليفا معينا، جاعلا من النظام النحوي سبيلا إلىٰ تماسك النص وتلاحم أجزائه، فما النظم إلا (توخي معاني النحو فيما بين الكلم)[(١)]، وليس المقصود أن ترتب الكلمات مجرد ترتيب، وإنما ترتب حسب ترتيب المعاني في النفس، وبهذا يصبح النحو ميزانا في قضية التماسك النصي متىٰ أصيب موضعه، ووضع في حقه، بحيث تقتفي الكلمات آثار المعاني علىٰ الوجه الذي يقتضيه العقل، وتطلبه صورته في الوجدان.

ويقرر الإمام أن فساد النظم وسوء التأليف يحدث من مخالفة الشاعر النظم النحوية، وتعاطيها علىٰ غير وجهها، كأن يصنع في التقديم والتأخير أو الحذف والإظهار علىٰ وجه لا يستساغ، ولا يتسق مع الأصول النحوية.[(٢)] حيث إن النص الإبداعي إذا خلا من انتظام القواعد النحوية سوف تصبح جمله جذعا يابسا بلا فروع ولا ثمار، سيكون عبارة عن جمل متراصة، بلا رابط يمسك كلماتها، ولا توافق يجمع معانيها.

والوقوف علىٰ صحة النظم ودقته، أو فساده وسوء تأليفه لا يتوقف عند حدود الجملة فحسب، وإنما يتجاوزها إلىٰ النظر في النص الإبداعي كله، وبناء النص –

(١) دلائل الإعجاز/ ٣٧٠/ ت/ محمود شاكر/ مكتبة وهبة.

(٢) ينظر/ دلائل الإعجاز/ ٨٤.

عنده- ركائزه العلاقات النحوية التي تكون من المفردات جملا، ومن الجمل نصا كليا، وهو ما أشار إليه حازم القرطاجني (ت ٦٨٤) فمن الأهمية تجاوز الجملة إلىٰ النص مع الاضطراد والاتساق الذي يحقق للنص مقاصده، فيجعل للأسلوب دورا في تناسب المعاني، وللنظم دورا في تناسب الألفاظ، وهو بهذا يجعل الأسلوب والنظم متكاملين لا متضادين(١)، وبهما معا يتماسك النص ويترابط.

ولا تبتعد البلاغة القرآنية عن تناول هذه القضية كما تناولها البلاغيون، بل لأربابها فيها قدم راسخة، ومقالات دقيقة، ورؤىٰ عميقة، أعانهم عليها اتساق النظم القرآني، وانسجام مكوناته بدءا من الحركات والأصوات واصطفاء الكلمات والتراكيب وتناسب الجمل فالآيات فالموضوعات، حيث نجد السورة طالت كالبقرة، وقصرت كالكوثر، تترابط أجزاؤها وتتلاحم حتىٰ غدت كالجملة الواحدة، مما جعل البيان الكريم معينا علىٰ اكتشاف العلاقات الجلية أو الخفية بين مكونات النظم الكريم، فالزمخشري (ت ٥٣٨) تحدث عن عوامل ربط الآي القرآنية، وحاجتها إلىٰ إعمال النظر وإطالة التدبر، وكلما توفرت هذه الروابط السياقية كان النص أحسن ترابطا، وأقوم تناسقا، وأعمق انسجاما، وأكثر تلاؤما(٢). كما يرىٰ الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) أن الآية القرآنية تقتضي التي بعدها، وتستدعي وجودها،

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء/ ٣٦٣، ٣٦٤/ ت/ محمد الحبيب بن الخوجه/ دار الغرب الإسلامي.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ ١/ ١٥/ دار الكتاب العربي/ بيروت-لبنان.

يجمع بينهما تناغم وتناسق وتلاؤم، وتناول حالات ذلك(١)، وقد عني كثير من المفسرين ببيان أوجه تناسب الآيات القرآنية وتناسقها، وشرح المعاني الجامعة بينها، وملامح تواصلها، كالزمخشري والبقاعي وأبي حيان والطاهر بن عاشور.

ويلحظ أن تناولهم لهذه القضية تناول مجمل دقيق مبين عن ملامح هذه القضية، وهذا بلا شك يتسق مع الأسلوب العلمي التأسيسي للعلوم منذ نشأتها إلىٰ استقامة عودها، وارتباطها ببلاغة البيان القرآني الكريم، وهذا ما جعلها قضية منسجمة مع خصائص النصوص المقدسة المعجزة، والنصوص الإنسانية المبهرة، والتفصيل شأن الأجيال العلمية التالية، وهو ما قصرت فيه الدراسات العربية اللاحقة والمعاصرة، حتىٰ جاءت الأسلوبية النصية(٢)، لتتناول هذه القضية بأسلوب عصري، تعنىٰ بالنص كوحدة لغوية، وتبرز جوانب عديدة كالترابط وأدواته وأنواعه، ... وتطبيق هذا علىٰ النصوص المكتوبة والمنطوقة(٣)، ومع هذا فهي في بعض جوانبها لا يمكن تطبيقها علىٰ البيان القرآني الكريم، فهو كتاب دعوة وتربية وأي دراسة لا تسير في هذا الميدان فهي دراسة منحرفة يجل البيان الكريم عن جعله مادة لتطبيقاتها كالإحالة مثلا، التي تعتمد علىٰ تقطيع النصوص وتشتيت القارئ وتشويش ذهنه بتلك المسميات والإحالات التي لا تنتمي إلىٰ وادينا.

---

(١) البرهان في علوم القرآن/ ١/ ٤٠، ٥٤، ٧٢/ ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم/ ط٣/ دار الفكر ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م

(٢) تنظر في/ مدخل إلىٰ علم النص-مشكلات بناء النص/ زتسيسلاف واورزنياك/ ٥٤/ ترجمة/ سعيد حسن بحيري/ مؤسسة المختار- القاهرة ط١ ١٤٢٤ه - ٢٠٠٣م

(٣) ينظر/ علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق/ دراسة تطبيقية علىٰ السور المكية/ صبحي إبراهيم الفقي/ ١/ ٣٦/ دار قباء-القاهرة/ ط١/ ١٤٣١ه-٢٠٠٠م

وحديث أصحاب هذه النظرية وتطبيقاتهم يكشف عن أصالة القضية تراثيا، واتساقها مع النصوص العربية القرآنية أو الإنسانية وانسجامها مع روحها، وأنها مصدر إلهام للعديد من الدراسات الغربية، ومما يؤلم القلوب المحبة للأمة وتراثها، ويجرح كبرياء أبناء الأمة تخلفنا عن تناول تماسك النصوص وتلاحمها بأسلوب يتسق وروح العصر وثقافته، فتلبس وغيرها من قضايانا التراثية ثوبا جديدا لافتا لنظر أبناء الجيل وعقولهم، مما يطفئ نار الانبهار بالثقافة الغربية، وليت بعضهم انبهر واندهش وبقي فارغ الفاه، ولكنهم أهالوا التراب علىٰ تراث أمتهم العظيم النفع الجليل القدر، بالشوشرة تارة وبالتشويه تارة أخرىٰ، ووصل الأمر ببعضهم إلىٰ الدقة في ذكر أسماء علمائهم ونقادهم وملء مؤلفاتهم بها، وفي المقابل لا تجد لأحدهم قدما راسخة في التمكن من تراثنا والتعرف بمؤسسيه ورواده.

ولو أمعنوا النظر، وحققوا المسائل الحديثة ونقروا علىٰ جذورها العميقة وفروعها الباسقة في تراث الأمة؛ لعلموا أن النظرية التراثية شاملة، كتبت بأسلوب يتناغم مع عصورهم، وأن الأجيال المتعاقبة أهملت تناول هذه القضايا-ومنها قضية تماسك النص وتلاحمه-الواسعة التواجد في كتب التراث، أو التي أشير إليها ببرقة خاطفة، أو لمحة عاجلة، ولو تلبثت الدراسات المعاصرة أمامها، وحدثت تناولها لها، ووسعت القول فيها، لتحققت نهضة علمية منبثقة من رحم علوم الأمة وتراث الأجداد، ولتطاولت الأعناق بذلك فخرا وعزا.

أثر الإعراب في تماسك النص وإظهار المعنى.

للإعراب دور بار في تأكيد تماسك النص وترابطه، وإظهار المعاني وتأديتها وكشف غموضها، وإزالة اللبس عنها، فبه تتحرك الكلمات في بناء الجمل والعبارات بحرية تقديما وتأخيرا دون أن تفقد وظيفتها في المعنىٰ، وهذه الوظيفة الجليلة تناولها

ابن جني في قوله: (هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ؛ ألا ترىٰ أنك إذا سمعت: أكرم سعيدٌ أباه، وشكر سعيداً أبوه _ علمت برفع أحدهما، ونصب الآخر الفاعلَ من المفعولِ، ولو كان الكلام شَرْجًا واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه.

فإن قلت: فقد تقول ضرب يحيىٰ بُشْرَىٰ، فلا تجد هناك إعرابًا فاصلاً، وكذلك نحوه _ قيل: إذا اتفق ما هذه سبيله مما يخفىٰ في اللفظ حاله، أُلزِم الكلامُ من تقديم الفاعل، وتأخير المفعول ما يقوم مقام بيان الإعراب.

فإن كانت هناك دلالة أخرىٰ من قِبَل المعنىٰ وقع التصرف فيه بالتقديم والتأخير؛ نحو أكل يحيىٰ كمثرىٰ _ لك أن تقدم وأن تؤخر كيف شئت)[1] وهذه الوظيفة الإعرابية تمد اللغة بالمرونة في ترتيب الكلمات في السياق وفق ترتيبها في النفس دون لبس، وهذه المرونة تضيف إلىٰ البيان العربي سمة تنوع الجملة العربية وغزارتها، وترابط مكوناتها وتماسكها، وبتماسك الجمل يتماسك النص وتتلاحم أجزاؤه، ويتجلىٰ ذلك من وراء خصيصة الإعراب في العربية.

ووظيفة الإبانة ومنع اللبس تصاحب المعنىٰ اللغوي للإعراب، فهو مصدر الفعل الرباعي أعرب، وكل ما ورد عن مادة (عرب) ومشتقاتها تدور حول ثلاثة معان هي: الإبانة والإيضاح/ التحسين والتزيين/ التكلم بلغة العرب[2]. ولم يختلف المعنىٰ الاصطلاحي عن دلالته اللغوية، فمجمل قولهم هو اختلاف آخر الكلمات لاختلاف العوامل لفظا أو تقديرا، قال الزجاج: (إن النحويين رأوا في أواخر الأسماء والأفعال

(١) الخصائص/ ١/ ٣٥/ ت/ محمد علي النجار/ دار الهدىٰ للطباعة والنشر/ بيروت –لبنان/ ط٢.

(٢) ينظر/ مقاييس اللغة / ابن فارس/ مادة عرب/ ت/ عبد السلام محمد هارون/ دار الفكر/ ١٣٩٩ه-١٩٧٩م، لسان العرب/ ابن منظور/ مادة عرب/ دار صادر.

حركات تدل علىٰ المعاني وتبين عنها سموها إعرابا أي بيانا)[١] ومن هنا كان علم النحو هو العاصم للسان العربي من الخطأ الذي يشتت النص ويفككه، بما تشكل به المعاني وتلتبس، وليس حلية للعربية ووشيا لها فحسب، يقول ابن قتيبة رحمه الله: (لو قال قائل: هذا قاتلٌ أخي بالتنوين، وقال الآخر: هذا قاتلُ أخي بالإضافة- لدلّ التنوين علىٰ أنّه لم يقتله، ودلّ حذف التنوين علىٰ أنّه قد قتله)[٢] فالتنوين يمحض الحدث للحاضر أو المستقبل، أي: هذا سيقتل أخي حالا أو سوف يقتله مستقبلا. وأما الإضافة فتمحض الحدث للماضي، أي: هذا الذي قتل أخي.

وإذا كان للإعراب دور كبير في تلاحم النص وتواصل جمله بصفة عامة، فإنه ذو تأثير بارز في المعني بصفة خاصة، وتأثيره في معاني القرآن الكريم أعلىٰ وأبلغ، حيث يجري عليه ما يجري علىٰ اللغة العربية ونظامها الإعرابي، غير أنه معجز في نظمه، والذي عرفه الإمام عبد القاهر بقوله: (اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل علىٰ قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها)[٣] وإذا كان النحو فرضا وظيفيا في فهم البيان الإنساني، فإنه أكثر أهمية وعطاء في البيان القرآني الكريم.

وليس غريبا اشتراك الإعراب والتفسير في الدلالة علىٰ الشرح والتوضيح والبيان والكشف، ولا يستطيع طالب علوم القرآن فضلا عمن يتصدىٰ للتفسير معرفة

(١) الإيضاح في علل النحو/ الزجاج/ ٩١/ ت/ د/ مازن المبارك/ دار النفائس ط٣/ ١٩٧٩م.

(٢) تأويل مشكل القرآن/ ابن قتيبة/ ١٨/ ت/ إبراهيم شمس الدين/ دار الكتب العلمية/ بيروت – لبنان.

(٣) دلائل الإعجاز/ ٨١/ ت/ محمود شاكر/ مكتبة وهبة.

الإعراب والتمكن من إجراءاته التطبيقية علىٰ البيان القرآني الغزير الإعراب واختلاف الدلالات وفق هذه الأعاريب.(١) ولذا كانت نصيحتهم واضحة: (علىٰ الناظر في كتاب الله تعالىٰ الكاشف عن أسراره النظر في الكلمة وصيغتها ومحلها ككونها مبتدأ أو خبرا أو فاعلا أو مفعولا ...)(٢)

وجعل الإمام الغزالي من مؤهلات الذي يريد أن يتكلم في تفسير القرآن (التبحر في فن النحو، والرسوخ في ميدان الإعراب)(٣) فلا يكفي أن يتحصل علىٰ المستوىٰ المبتدئ في النحو والإعراب، وإنما يلزم من يتصدر لتفسير القرآن التبحر والرسوخ فيهما، وذلك لتعدد أوجه الإعراب، التي ينتج عنها سعة المعاني وتناسقها، وهذا من أجلىٰ أسباب تماسك النظم وتناسبه وتناسق آياته وتوافقها معاني جمله.

وهذا التعدد وتلك السعة من تجليات البيان القرآني الكريم، فمرونة المعاني وتعددها وغزارتها الناتجة عن تعدد الإعراب تناسب تغير حياة الأجيال والعادات والثقافات والاحتياجات المستجدة، وعطاءات الكتاب الكريم لا تتوقف عند عصر أو مصر، وإنما تتجدد وفق مقتضيات الواقع المعاصر ومتطلباته.

---

(١) ينظر/ مشكل إعراب القرآن/ ١/ ٦٣/ ت/ حاتم صالح الضامن/ مؤسسة الرسالة، البرهان في علوم القرآن/ الزركشي/ ١/ ٢٩٢/ ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار إحياء العلوم العربية- القاهرة/ ط١-١٣٧٦ه-١٩٥٧م

(٢) السابق/ ١/ ٣٠١

(٣) الرسالة اللدنية/ أبو حامد الغزالي/ ٤٢/ ت/ نجاح عوض/ دار المقطم- القاهرة ١٤٣٥ه-٢٠١٤م

البدل وأثره في تماسك النص شكلا ومضمونا:

وننطلق من أثر الإعراب ودوره في ترابط النص وتلاحمه وتناسقه بصفة عامة إلىٰ البدل وأثره في تماسك النص بصفة خاصة، ومادة (ب د ل) في اللغة كما يقول ابن فارس: (أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ قِيَامُ الشَّيْءِ مَقَامَ الشَّيْءِ الذَّاهِبِ. يُقَالُ: هَذَا بَدَلُ الشَّيْءِ وَبَدِيلُهُ. وَيَقُولُونَ بَدَّلْتُ الشَّيْءَ: إِذَا غَيَّرْتُهُ وَإِنْ لَمْ تَأْتِ لَهُ بِبَدَلٍ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: {قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي} [يونس: ١٥] . وَأَبْدَلْتُهُ: إِذَا أَتَيْتُ لَهُ بِبَدَلٍ)(١) وواضح من النص معنيان: الأول: ذهاب الشيء وقيام غيره مقامه، والآخر: تغييره وإن لم يقام مقامه شيء.

وعند النحاة: سمي ما يعرف بالبدل عند النحويين أسماء عديدة، منها: مصطلح البدل عند البصريين، والترجمة والتبيين عند الكوفيين(٢)، وكلها مترادفات تفسر معنىٰ البدل وتوضحه، ومصطلح (البدل) أولىٰ لكونه يأتي لأغراض مختلفة حسب السياق والمقام، ولما كان البدل هو موضع الاهتمام والقصد ناسبه البدل كونه اسما لا مصدرا بخلاف الإبدال والتبديل.

---

(١) مقاييس اللغة/ بن فارس/ مادة/ ب د ل/ ١/ ٢١٠/ ت/ عبد السلام محمد هارون/ دار الفكر/ ١٣٩٩-١٩٩٧م، وينظر/ لسان العرب/ بن منظور/ مادة (بدل) دار المعارف، وتاج العروس من جواهر القاموس لمرتضىٰ الزبيدي/ علىٰ شيرىٰ/ دار الفكر ، طبعة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م مادة (بدل).

(٢) ينظر/ حاشية الصبان علىٰ شرح الأشمونىٰ علىٰ ألفية ابن مالك ، ومعه شرح الشواهد للعينىٰ ٣ / ١٢٣ طبعة عيسىٰ الحلبىٰ، وارتشاف الضرب من لسان العرب/ أبو حيان الأندلسىٰ/ ت/ د/ رجب عثمان محمد ٤ / ١٩٦٢/ مكتبة الخانجىٰ بالقاهرة/ طبعة١/ ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.

وعرفوا البدل بتعريفات عديدة، لعل أهمها وأبينها تعريف ابن مالك في شرح التسهيل بقوله: التابع المستقل بمقتضى العامل تقديراً دون متبع(١) ، أو قوله في ألفيته: التابع المقصود بالحكم بلا واسطة(٢)، وهذا الأخير أكثر شمولا وضبطا، حيث إن قوله: المقصود بالحكم يخرج التوابع الثلاثة الأخرى، لكونها مكملة للمتبوع بالحكم.

وهو أنواع، منها البدل المطابق الذي استقامت له دراستي، وهو ما كان البدل والمبدل منه متساويين في المعنى ومتطابقين، ويسمى بدل كل من كل، وبدل الشيء(٣).

وأما الغرض من البدل عند البلاغيين فهو زيادة التقرير والإيضاح؛ حيث دارت معظم جهودهم ودراساتهم المتباينة حول هذا الغرض، وقد نثر بذوره السكاكي في باب المسند إليه(٤)، ثم تبعه البلاغيون في ذلك.(٥) وتحديدهم زيادة التقرير غرضا رئيسا للبدل نافع في مجال البلاغة التعليمية، ولا يمنع تلمس أغراض أخرى في البلاغة التحليلية التذوقية، ولعلنا نتلبث أمام ذلك في دراستنا الموازنة.

---

(١) ينظر/ شرح التسهيل/ ابن مالك ٣ / ٣٢٩ / ت / د / عبد الرحمن السيد ، د / محمد بدوى المختون/ هجر للطباعة . ط ١/ ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

(٢) ينظر/ شرح الكافية الشافية/ ابن مالك ٣ / ١٢٧٤ ت/ د / عبد المنعم أحمد هريدى/ دار المأمون للتراث.

(٣) ينظر/ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك/ ابن هشام/ ٣/ ٣٦٢/ ت/ يوسف الشيخ محمد البقاعي/ دار عمار بالأردن.

(٤) مفتاح العلوم/ ١٩٠/ ت/ نعيم زرزور/ دار الكتب العلمية.

(٥) ينظر/ مختصر التلخيص/ للسعد (مع الشروح) :١/ ٢٧٢ وما بعدها/ دار الكتب العلمية.

والمقام هو صاحب الكلمة العلية في مجيء البدل، فحين يراد الاهتمام بالمقصود والاعتناء به(١)، يؤتىٰ بالبدل ولا يستغنىٰ عن المبدل منه، وأما قولهم بأنه علىٰ نية الطرح فتجاوز، قصد به اللفظ لا المعنىٰ.

ومن تجليات اللغة العربية وبلاغتها، إيراد المعاني في صورتين، صورة مجملة، ثم تعقبها صورة مفصلة، أو إيراد المعنىٰ مبهما ثم توضيحه وبيانه، وإيراد المعنىٰ في صورتين من الوسائل البيانية التي تلفت الانتباه وتنشط الذهن، وتثبت المعاني في نفوس المتلقين وتؤكدها.(٢) وللبدل مع الإيضاح بعد الإبهام فائدة أخرىٰ هي التأكيد كما يقول السيوطي.(٣)، فالعامل في البدل عامل آخر من لفظ العامل في المبدل منه. وهذا ما اتفق عليه أكثر النحويين.(٤)

وبهذه الاعتبارات يكون البدل من أساليب الربط ذات الأثر البليغ في تماسك النظم لفظا ومعنىٰ، فمن حيث اللفظ فإنه يقوم بدور بارز في تماسك النص وتلاحم أجزائه، ووصل تراكيبه ونسجها. ومن حيث المعنىٰ فإنه يأتي موضحا ومجليا للمبدل

---

(١) ينظر/ مواهب الفتاح/ ٣/ ٤٠.

(٢) ينظر/ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز/ الإمام يحيىٰ بن حمزة العلوي/ ٢٤٠/ ت/ محمد عبد السلام شاهين/ دار الكتب العلمية-بيروت لبنان، وينظر/ الكتاب/ سيبويه/ ٢/ ١٢٦.

(٣) الإتقان في علوم القرآن/ جلال الدين السيوطي/ ٤١٣/ ت/ محمد سالم هاشم/ دار الكتب العلمية، وينظر/ شرح المفصل/ موفق الدين بن يعيش/ ٣/ ٧١/ إدارة الطباعة المنيرية.

(٤) ينظر/ الفروق النحوية بين التوابع (عند ابن بري -ت ٥٨٢ه/ في الفروق النحوية، والسيوطي-ت٩١١هـ/ في الأشباه والنظائر-دراسة وموازنة/ د/ أسماء السيد عمارة/ ٦٢٧/ مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية/ عدد ٣٦/ ٢٠٢١م.

منه الوارد مبهما، ومؤكدا لكونه علىٰ نية تكرار العامل، كما سبقت الإشارة إليه، وقد عنيت العربية بأدوات الربط وأوجبت الالتزام بمواقعها وفق وظائفها في الجملة(١).

منهجية الشيخين في تفسيرهما:

أرىٰ من المهم في هذا السياق أن أشير باقتضاب إلىٰ منهجية الشيخين في تفسيريهما، حتىٰ يمكننا الوقوف علىٰ توجهما في اختيار الوجوه الإعرابية، وتبيين أثرها في المعنىٰ، وقد أبان كل منهما عن منهجه، وطريقة تناوله للموضوعات المعينة علىٰ فهم البيان الكريم.

منهجية أبي حيان في تفسيره:

ولد أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي سنة ٦٥٤ه ونشأ في غرناطة الأندلس، وتعلم علوم العربية، وسمع وروي الكتب الأمهات في الحديث والسنن، وكان إماما في القراءات، وبلغ عدد مشايخه أربعمائة وخمسين عالما، وتعددت كذلك مصنفاته في النحو والصرف واللغة والفقه والإعراب والقراءات وتاج هذه المصنفات تفسيره البحر المحيط(٢).

وكان -رحمه الله- واسع الأفق فيرىٰ أهمية جميع العلوم لبناء الإنسان والأمم، فيقول: (إن المعارف جمة، وهي كلها مهمة)(٣) وهو بهذه الرؤية يمثل فكر أمة

(١) ينظر/ أدوات الربط في اللغة العربية وأثرها في الدلالة/ أيمن نصيب/ ١٤، ١٥/ أطروحة دكتوراه/ جامعة الجزائر٢-أبو القاسم سعد الله/ ٢٠١٨م.

(٢) ينظر/ البحر المحيط في التفسير/ ١/ ٤، ٥/ ت/ صدقي محمد جميل/ دار الفكر-بيروت لبنان/ ١٤٣٢ه-٢٠١٠م.

(٣) السابق/ ١/ ١٠.

نهضت وارتقت وسادت منذ أن سمعت أول توجيه من السماء (اقرأ) فكانت نهضة علمية في جميع مجالات العلوم والمعرفة والثقافة.

ثم يبرز جانبا ما زال معتبرا في الأمة حتىٰ يومنا، وهو تقديم علوم الدين وتفضيلها، وأعلاها شأنا، وأكرمها منقبة، وأشرفها غاية، هو علم كتاب الله تعالىٰ، وأما العلوم الأخرىٰ فهي له بمنزلة الأدوات، ثم يخبر بما كان يجول في صدره من خواطر، ويعتلج في فكره من القصد والنية والإعداد والتأهل والتأهب لهذا الأمر الجلل والحبل المتين والصراط المستقيم.(١)

ثم يبين عن معالم منهجه في تفسيره، وخطته التي حدد إجراءاتها، ويبدأ بما يعرف الآن في ميدان البحث العلمي بالدراسات السابقة، فيقول: (فعكفت علىٰ تصنيف هذا الكتاب، وانتخاب الصفو واللباب، أجيل الفكر فيما وضع الناس في تصانيفهم، وأنعم النظر فيما اقترحوه من تآليفهم، فألخص مطولها، وأحل مشكلها، وأقيد مطلقها، وأفتح مغلقها، وأجمع مبددها، وأخلص منقدها، وأضيف إلىٰ ذلك ما استخرجته من القوة المفكرة من لطائف علم البيان، المطلع علىٰ إعجاز القرآن)(٢) ولا يكفي عنده جمع ما كتب السابقون والمعاصرون، والتصرف فيها بما تتطلبه القراءة الواعية، وإنما يتطلب تجديد العلم وتطويره (التدبر وإنعام النظر) حتىٰ يضيف لبنة إلىٰ بناء العلم بما يستخرجه من القوة المفكرة، ولعل هذا ما كان يدعو إليه عبد القاهر الجرجاني.(٣) وحينما عجزت العقول عن التدبر والبحث عن خبيء العلم

(١) البحر المحيط/ ١/ ١٠.

(٢) السابق/ ١/ ١٠.

(٣) دلائل الإعجاز/ ٣٤.

ودفينه، ولَّت وجهتها إلىٰ ثقافة غير ثقافتنا ومنهجية غير منهجيتنا، فتهجنت العقول، وتجمدت العلوم، وتغربت الثقافة.

ثم يحصر جوانب منهجيته في تفسيره، والتي تبدأ بالكلمة، كلمة كلمة، قبل التركيب، ثم تفسير الآيات وبيان سبب نزولها ومناسبتها لما قبلها، ثم توجيه القراءات القرآنية والكشف عن معانيها الجلية منها أو الخفية، ثم يختم الكلام في جملة من الآيات التي فسرها إفرادا وتراكيب بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ملخصا، ثم يتبعها بالمنثور الذي يشرح بها مضمونها(١).

وسنجد شواهد هذه المنهجية في إعراب الكلمات التي يكون فيها البدل وتوجيه المعنىٰ الذي يتسق مع هذا الإعراب.

ويعد تفسيره الأعلىٰ في تطبيق الوجوه الإعرابية، وهو يعادل الكشاف في تطبيق النظرية البلاغية علىٰ البيان الكريم، بسبب توسعه في مسائل الخلافات النحوية، ولم يهمل النكات البلاغية وغيرها من علوم القرآن الكريم.(٢)

وينتهج أبو حيان في تناوله للمسائل النحوية منهجا جديرا بالإشارة إليه، حيث يرىٰ (أنه متىٰ أمكن حمل الكلام علىٰ غير إضمار ولا افتقار، كان أولىٰ أن يسلك به الإضمار والافتقار، وهكذا تكون عادتنا في إعراب القرآن، لا نسلك فيه إلا الحمل علىٰ أحسن الوجوه، وأبعدها من التكلف، وأسوغها في لسان العرب...)(٣)

(١) البحر المحيط/ ١/ ١١٢.

(٢) ينظر/ التيسير في أصول واتجاهات التفسير/ عماد علي عبد السميع/ ١١٣/ دار الإيمان – الإسكندرية – ٢٠٠٦م.

(٣) البحر المحيط/ ١/ ٦١، ٦٢.

وهذا كلام ماجد، ينبغي الاقتداء به، مع عدم ترك النظر في أوجه الإعراب الأخرىٰ، فلربما فتحت بابا للوقوف علىٰ معنىٰ يحل مشكلة فقهية عصرية، فالكتاب الكريم منهج كل عصر ومصر.

منهجية الطاهر بن عاشور في تفسيره:

عاش محمد الطاهر بن عاشور شيخ جامع الزيتونة عام ١٢٩٦-١٣٩٣هـ، ١٨٧٩-١٩٧٣م، صاحب المؤلفات العديدة، كمقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الوقف وآثاره في الإسلام، أصول الإنشاء والخطابة، تحقيق ونشر ديوان بشار بن برد، ودرة أعماله وأعلاها تفسير التحرير والتنوير.

نشأ في بيئة تتمتع بإمكانات ثقافية عالية في علوم اللغة العربية والإسلامية، مما مكنه منها تمكنا أكسبه اعتراف المؤسسات العلمية والثقافية كمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومجمع اللغة العربية بدمشق(١).

وعقد العزم علىٰ تفسير القرآن الكريم، إلا أنه ظل يسوف النفس مرة ومرة ويسومها زجرا اتقاء أن يعرض نفسه لمتاعب تنوء بالقوة، إلىٰ أن يسر الله له أمره، ورزقه الهمة في إنجاز هذا العمل الشريف(٢).

ويبين منهجه في تفسيره والإفادة من المفسرين السابقين، ونقده لهم، وتسمية التفاسير التي أفاد منها ضاربا الصفح عن ذكر التفاسير العالة علىٰ غيرها.(٣)وما ذكره العلامة عن مواقف الناس حول كلام السابقين يشمل جميع العلوم العربية

(١) منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير/ د/ نبيل أحمد صقر/ ١٠/ الدار المصرية/ ط١ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) ينظر/ التحرير والتنوير/ ١/ ٦/ السداد التونسية/ ١٨٨٤م.

(٣) السابق/ ١/ ٧.

والإسلامية، وليس خاصا بمجال تفسير القرآن الكريم، وسلك الشيخ سبيل المجددين لعلوم التفسير، وهو سبيل كل تجديد بإعمال العقل في تراث الأمة وتدبره وإدامة النظر فيه تهذيبا وإضافة مع الاعتراف بفضل السابقين وإحسانهم إلىٰ من خلفهم.

وكان للإعجاز مكانة خاصة في منهج الشيخ التفسيري، فيقول: (وقد اهتممت في تفسيري ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض...)(١)

ما اتفق فيه الشيخان وما اختلفا فيه:

تحديد كل منهما منهجه في تفسيره، وتحديد خطواته وأهدافه، يكشف لنا أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما، حيث أرىٰ أنهما يشتركان في كثير من هذه الخطوات وتلك المقاصد، كتناول المفردات وتفسير الآيات وذكر أوجه الإعراب ومناقشتها وترجيح ما يتسق مع السياق والأوفىٰ بحق المعنىٰ، ويختلفان في الهدف الأهم البارز في منهجيهما: فأبو حيان أكثر اهتماما بالمسائل النحوية وتوجيهها وتقييمها ومناقشتها واختيار المتسق مع منهجه، وذكر الأسرار البلاغية بصورة مقتضبة. وأما الطاهر بن عاشور فكان اهتمامه الأوضح بوجوه الإعجاز والتوقف أمام النكات البيانية وتفصيل القول فيها شرحا وبيانا وتوجيها، وذكر الأوجه الإعرابية لكل ما من شأنه أن يخدم تفسيره البياني، وهذا ما سوف نجده في تناول البدل المطابق في سياقاته.

والمدقق في منهجي الشيخين يجد اهتماما كبيرا بأوجه ترابط النظم الكريم ووسائل تماسكه وتواصله، ومما تلبثت الدراسة أمامه في مواقع البدل المطابق في سياقاته العديدة في سورة البقرة اتفاقهما في تجلية سياق الآيات والجمل ووجه علاقتها

(١) التحرير والتنوير/ ١/ ٨.

بما قبلها، ثم يختلف اهتمام كل منهما بوسائل تواصل النظم الأخرىٰ، حيث نجد أبا حيان حريصا علىٰ إبراز دور التوابع في تواصل المعاني واعتلاق بعضها ببعض وبخاصة النعت والمنعوت والبدل والمبدل منه، ففي الأول يسلط الضوء علىٰ المنعوت، بينما تكون الأهمية في الثاني للبدل، ففي رده التماس الزمخشري مخرجا للاستئناف في قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [سورة البقرة:٥]، يبرز دور البدل في تواصل المعاني وترابط النظم، فيقول: (وعَلىٰ ما اخْتَرْناهُ مِنَ الِاتِّصالِ يَكُونُ قَدْ وصَفَ المُتَّقِينَ بِصِفاتِ مَدْحٍ فَضَلَتْ جِهاتِ التَّقْوىٰ، ثُمَّ أشارَ إلَيْهِمْ وأعْلَمَ بِأنَّ مَن حازَ هَذِهِ الأوْصافَ الشَّرِيفَةَ هو عَلىٰ هُدًىٰ، وهو المُفْلِحُ)(١)، وهذا ما سنجده مفصلا في تحليل الآية في موقعها من هذه الدراسة.

وأما الطاهر ابن عاشور فيهتم كثيرا بالعلاقات بين الجمل، وبالاستئناف البياني وما يثيره في النفس من تساؤلات تجيب عنها الآية أو الجملة، وما يكون من تفاعل بين المتلقي والنص الكريم، وما يترتب علىٰ ذلك من تلاحم النظم وتواصل معانيه، وأنه في البيان الكريم يكون لأغراض جليلة تبرز بينها التناسق، والتوافق، فيقول: (واعلم أن جمل الكلام البليغ لا يخلو انتظامها عن المناسبة، وإن كان بعضها استئنافًا، وإنما لا تطلب المناسبة في المحادثات والاقتضابات)(٢).

وهذا غيض من فيض يبرق لكل ذي عينين في تفسيرهما، ليتقرر اهتمام أئمة علوم العربية والإسلام وبخاصة المنشغلين بالمنهجين النحوي والبلاغي بأساليب ترابط النص وتلاحمه وانبناء ثانيه علىٰ أوله وانعطاف اللاحق علىٰ السابق، وأنه قضية عربية

(١) البحر المحيط/ ٧٢.

(٢) التحرير والتنوير/ ٣/ ١٨٨.

بلاغية ذات عمق في تراث العرب والمسلمين كما بينته في التمهيد، وكما ستكشف عنه الدراسة تفصيلا بحول الله وعونه.

من آليات تماسك النظم في سياق سورة البقرة ووسائله:

ويجدر بي قبل تناول دور البدل في تماسك نظم السورة أن أبين المقصود ببعض المصطلحات الخاصة بقضية التماسك، كالسبك والاتساق والانسجام والنظم، وضرب الأمثلة من آيات السورة علىٰ بعض أوجه تماسك نظمها ووسائله:

- **السبك:** السبك في اللغة كما يقول ابن فارس: (يَدُلُّ عَلَىٰ التَّنَاهِي فِي إِمْهَاءِ الشَّيْءِ. مِنْ ذَلِكَ: سَبَكْتُ الْفِضَّةَ وَغَيْرَهَا أَسْبِكُهَا سَبْكًا. وَهَذَا يُسْتَعَارُ فِي غَيْرِ الْإِذَابَةِ أَيْضًا)(١)، ويقول ابن منظور: سبكه أي: (ذوبه وأفرغه في قالب، والسبيكة القطعة المذوبة منه)(٢)، من هذا يفهم أن الكلمة دالة علىٰ التماسك والترابط والتلاحم، وهذا مدلول المصطلح النصي، أي: ترابط الكلام بعضه ببعض من أوله إلىٰ آخره، بأن يشتمل النص علىٰ مكونات تجعل منه كلا موحدا متماسكا.(٣)

- **الحبك:** ولا يختلف الحبك عن السبك من حيث اللغة والاصطلاح، ففي اللغة إحكام وشد، يقول ابن فارس: (إِحْكَامُ الشَّيْءِ فِي امْتِدَادٍ وَاطِّرَادٍ. يُقَالُ بَعِيرٌ مَحْبُوكُ الْقَرَىٰ، أَيْ قَوِيُّهُ. وَمِنَ الِاحْتِبَاكِ الِاحْتِبَاءُ، وَهُوَ شَدُّ الْإِزَارِ)(٤)، ويقول ابن

(١) مقاييس اللغة/ ابن فارس/ ٣/ ١٢٩/ ت/ عبد السلام محمد هارون/ دار الفكر/ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) لسان العرب/ مادة/ سبك/ دار صادر.

(٣) ينظر/ حبك النص/ د/ محمد العبد/ ٥٤/ مجلة فصول/ ع/ ٥٩/ ربيع ٢٠٠٢م/ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٤) مقاييس اللغة/ ٢/ ١٣٠.

منظور: (إحكام الشيء وتحسينه وتسويته... ويأتي بمعنىٰ الشد والتقوية).(١)، والفرق بينهما أن السبك مرتبط بالظواهر السطحية والروابط اللفظية. أما الحبك فهو مرتبط بالبنية العميقة للنص والتحليل الدلالي ولسياقي للنص، ولهاتين الكلمتين تواجد في التراث اللغوي والنقدي والبلاغي إما تلميحا وإما تصريحا.(٢)

- **الاتساق:** من المعايير التي ترتبط بالنص لتتحقق نصيته، وهو في اللغة: بمعنىٰ الجمع والحمل، يقول ابن فارس: (الْوَاوُ وَالسِّينُ وَالْقَافُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ حَمْلِ الشَّيْءِ. وَوَسَقَتِ الْعَيْنُ الْمَاءَ: حَمَلَتْهُ. قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الانشقاق:١٧]. أَيْ جَمَعَ وَحَمَلَ)(٣)،ويقول: إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي: اتسق (أي: اجتمع، واتَّسق الأمر؛ أي: تَمَّ وتكامَل)(٤).

ولا يبتعد معناه الاصطلاحي عن دلالته اللغوية، يقول محمد خطابي: هو (ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص أو خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برُمَّته)(٥)، ومن مرادفاته السبك والربط والتماسك، والانسجام والتشاكل.(٦)

---

(١) لسان العرب/ مادة/ حبك.

(٢) ثنائية السبك والحبك في اللغة والأدب/ عبد الوهاب خلف الله إمبية/ ٤٩/ مجلة جامعة سبها/ مجلد ٨/ العدد الأول/ ٢٠٠٩م.

(٣) مقاييس اللغة/ ابن فارس/ ٦/ ١٠٩.

(٤) معجم ديوان العرب/ إسحاق ابن إبراهيم بن الحسن الفارابي/ ٣/ ٢٨٠/ ت/ أحمد مختار عمر/ مؤسسة دار الشعب/ القاهرة.

(٥) لسانيات النص: مدخل إلىٰ انسجام الخطاب/ محمد خطابي/ ٥/ المركز الثقافي العربي- بيروت- الدار البيضاء، ط١-١٩٩١م.

(٦) ينظر/ التلقي والتأويل/ / محمد مفتاح/ ١٥٧ وما بعدها.

- **الانسجام:** في اللغة كما يقول ابن فارس: (وَالْجِيمُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ صَبُّ الشَّيْءِ مِنَ الْمَاءِ، وَالدَّمْعِ. يُقَالُ سَجَمَتِ الْعَيْنُ دَمْعَهَا. وَعَيْنٌ سَجُومٌ، وَدَمْعٌ مَسْجُومٌ. وَيُقَالُ أَرْضٌ مَسْجُومَةٌ: مَمْطُورَةٌ.)(١)، ومنه انتقل إلىٰ المجاز لمعان متقاربة كالتوافق والتلاؤم والتناسب، والكلام المنسجم كما يقول أحمد مختار عمر: هو الذي (انتظم ألفاظًا وعباراتٍ مِن غير تعقيد، وكان سلسًا أنيقًا، متوافقًا في الأفكار والشعور والميول)(٢)

وأما اصطلاحا فله تعريفات عديدة، منها ما حده محمد مفتاح بقوله: (بالعلاقات المعنوية والمنطقية بين الجمل؛ حيث لا تكون هناك روابطُ ظاهرة بينها)(٣)، وهو (أعمُّ من الاتساق وأعمقُ؛ "بحيث يتطلب بناء الانسجام من المتلقي صرفَ الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتُولده)(٤)، والانسجام يعتمد علىٰ سياق النص وتأويلاته والتشابه والمعرفة الخلفي وغيرها مما يحقق هذا المعيار النصي.

النظم: في اللغة يدل علىٰ التآلف والترابط، يقول ابن فارس: (النُّونُ وَالظَّاءُ وَالْمِيمُ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَىٰ تَأْلِيفِ شَيْءٍ وَتَأْلِيفِهِ، وَنَظَمْتُ الْخَرَزَ نَظْمًا، وَنَظَمْتُ الشِّعْرَ وَغَيْرَهُ. وَالنِّظَامُ: الْخَيْطُ يَجْمَعُ الْخَرَزَ.)(٥)، وقد عرف الإمام عبد القاهر الجرجاني النظم بأنه تأليف الكلام وترتيبه وفق ترتيبه في نفس المتكلم، فما هو إلا(توخي معاني

(١) مقاييس اللغة/ ٣/ ١٣٦، ١٣٧.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة/ أحمد مختار عمر/ ٢/ ١٠٣٧/ عالم الكتب-ط١- ٢٠٠٨م

(٣) دينامية النص: تنظير وإنجاز/ محمد مفتاح/ ١٥١/ المركز الثقافي العربي/ ط١- ١٩٨٧م.

(٤) لسانيات النص-/ مدخل إلىٰ انسجام الخطاب/ محمد خطابي/ ٥.

(٥) مقاييس اللغة/ ٥/ ٤٤٣.

النحو فيما بين الكلم)[1]، فليس الغرض توالي الألفاظ في النطق المجرد، وإنما الهدف أن تتناسق وتتآلف وتترابط علىٰ الوجه الذي يقتضيه العقل.[2]

ونسوق بعض الأمثلة علىٰ آليات التماسك والاتساق في نظم السورة الكريمة:

النموذج الأول: علاقة الآيات بما قبلها:

المناسبة بين كل آية بما قبلها من أهم وسائل ترابط نظم السورة وتماسكه، وقد أولىٰ أهل العلم هذه الوسيلة اهتماما ورعاية منهم: أبوحيان في تفسيره (البحر المحيط) والرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) والبيضاوي في تفسره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) والبقاعي في (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) و(مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور) والسيوطي في (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع) والألوسي في تفسيره (روح المعاني) والطاهر بن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير) ومحمد عبد الله دراز في (النبأ العظيم) حيث تناول سورة البقرة تقسيما وترتيبا كبرهان علىٰ جمال البيان القرآني وقوته، وسوف نبرز المناسبة بين الآيات الكريمة التي سيتناول البحث دراسة البدل المطابق فيها.

النموذج الثاني: الفصل والوصل ودوره في تماسك النص:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ

(١) دلائل الإعجاز/ ٣٧٠/ ت/ محمود شاكر/ مكتبة وهبة

(٢) من قضايا البلاغة والنقد عند عبد القادر الجرجاني/ حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ/ ١/ ٥١/ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م

لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ [سورة البقرة:٢٣-٢٥].

حفلت الآيات الكريمة بتحدي الكافرين بأن يأتوا بسورة من هذا الكتاب الكريم، ثم بينت عاقبة الكافرين، وبشرت المؤمنين بما أعده-سبحانه- لهم من النعيم، والروابط بين الجمل فيها مما تناوله أهل العلم وتلبثوا أمامه، فجملة (إن كنتم..) جملة الشرط، جوابها (فأتوا..) وجملة (وادعوا...) معطوفة علىٰ جواب الشرط، وأما قوله: (وبشر الذين آمنوا...) فلا مناسبة بينها وما قبلها، ولأن جملة (فأتوا) مقيدة بقوله: (بسورة)، ولا يصح أن تقيد جملة (وبشر الذين آمنوا) بهذا القيد.(١) وفي عطفها علىٰ جملة (فاتقوا النار) بعد لا يستساغ(٢)، ومن ثم اعتبرها السكاكي معطوفة علىٰ (قل)(٣)، وأما الخطيب فعطفها علىٰ مقدر يدل عليه (بشر) والتقدير: (أنذر ونحوه)(٤)

ويعد الزمخشري في مثل هذا الضرب من العطف أكثر عمقا، وأوسع إدراكا، حيث يقول: (من عادته عز وجل في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب، ويشفع البشارة بالإنذار إرادة التنشيط، لاكتساب ما يزلف، والتثبيط عن اقتراف ما يتلف. فلما

---

(١) ينظر/ بحوث المطابقة علىٰ مقتضىٰ الحال/ د.علي البدوي/ ٤٨٠/ مصر.

(٢)السابق.

(٣) ينظر/ مفتاح العلوم/ السكاكي/ ١١٣/ دار الباز-مكة المكرمة.

(٤) ينظر/ الإيضاح/ ١٦١.

ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب، قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي، وحموها من الإحباط بالكفر والكبائر بالثواب ... فإن قلت: علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهىٰ يصح عطفه عليه؟ قلت: ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتىٰ يطلب له مشاكل من أمر أو نهىٰ يعطف عليه إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين، فهي معطوفة علىٰ جمة وصف عقاب الكافرين، ... ولك أن تقول: هو معطوف علىٰ قوله: (فَاتَّقُوا) كما تقول: يا بنىٰ تميم احذروا عقوبة ما جنيتم، وبشر يا فلان بنىٰ أسد بإحساني إليهم)[1]

ظاهر من كلامه أنه يرىٰ للترابط وجهين، والذي أميل إليه أنه من عطف القصة علىٰ القصة، أو كما قال: عطف جملة ثواب المؤمنين علىٰ جملة وصف عقاب الكافرين، وهذا الضرب من العطف من باب التوسط بين الكمالين.[2]، وباب الفصل والوصل دقيق المسلك في التقاط روافده في تماسك النص واتساقه.

النموذج الثالث: الحذف ودوره في تماسك النص:

للمتلقي دور تفاعلي في تراثنا البلاغي، حتىٰ جعلوا البلاغة تواصلية من خلال اختيار هذا الاسم (البلاغة) فدلالتها المعجمية دالة علىٰ وصول الشيء وانتهائه إلىٰ غايته، وعرفوا بلاغة المتكلم بأنها مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال، مما فتح المجال للوقوف كثيرا عن أحوال المخاطبين ووسائل إيصال المعنىٰ المقصود إليهم،

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ الزمخشري/ ١/ ١٠٤/ دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي ببيروت–ط٣– ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

(٢) ينظر النكات البلاغية في الفصل والوصل في سورة البقرة/ ٣٦٥ وما بعدها/ رسالة دكتوراه للباحث/ يوسف عواد سالم القماز/ كلية الآداب–جامعة السندزجامشورو–باكستان.

والحذف من وسائل جذب المتلقي وإدخاله في العملية التواصلية بدعوته للبحث عن المحذوف مسترشدا بالسياق ومستعينا بالأدلة الموجودة في بنية النص مما يعينه علىٰ تقدير المحذوف، مما يجعل للحذف دورا مبرزا في تماسك السياق وترابط النص، بعملية البحث عن المحذوف لملء الفراغ الموجود في النص، وقد حفل سياق السورة الكريمة بمواقع عديدة للحذف، من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾ [سورة البقرة:١٨-١٩].

وجاء الحذف في موقعين:

حذف المبتدأ أي: هم صم بكم عمي-حذف المضاف أي: كمثل ذوي صيب(١)، والدليل (مثلهم) في قوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧﴾ [سورة البقرة:١٧].

وفي قوله: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [سورة البقرة:١٧١].

جاء الحذف للمبتدأ أي: هم صم بكم عمي.(٢)

---

(١) ينظر/ الكشاف/ ١/ ٧٩.

(٢) ولراغبي المزيد الإطلاع علىٰ/ التماسك النصي من خلال الإحالة والحذف-دراسة تطبيقية في سورة البقرة/ رسالة ماجستير للباحث/ محمد الأمين مصدق/ ١٥٩ وما بعدها/ كلية اللغة والأدب العربي والفنون/ جامعة الحاج لخضر باتنة-١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

النموذج الرابع: الإحالة ودورها في تماسك النص:

الإحالة من مقومات التماسك النصي وترابطه، ويراد بها تلك العلاقة المعنوية (بين ألفاظ معينة وما تشير إليه من أشياء أو من معان أو مواقف تدل عليها عبارات أخرىٰ في السياق، أو يدل عليها المقام، وتلك الألفاظ المحلية تعطي معناها عن طريق قصد المتكلم، مثل: الضمير، واسم الإشارة، واسم الموصول...)[(١)]، وسواء رجعت هذه الإحالة إلىٰ سابق أو لاحق فهي تزيد النص تماسكا وترابطا، ومن أمثلة ذلك في السورة الكريمة بروز الضمائر في سياق السورة بصورة لافتة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة البقرة:٢٨].

فالضمائر في (أحياكم/ يميتكم/ يحييكم/ إليه) تعود إلىٰ اسمه تعالىٰ (الله)، وهذا سبب لتواصل النظم وترابطه لفظا ومعنىٰ.

واسم الإشارة في قوله تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة البقرة:٥]، **والإشارة تربط بين الآية وبين الآيات قبلها التي تتناول صفات المتقين.[(٢)]**

ونكتفي بهذا البيان حتىٰ لا تبتعد الدراسة عما أريدت له.

---

(١) الإحالة في نحو النص/ أحمد عفيفي/ ٩/ كلية دار العلوم-جامعة القاهرة.

(٢) أحيل من يروم المزيد الاطلاع علىٰ/ الإحالة ودورها في التماسك النصي (سورة البقرة أنموذجا) ماجستير للباحثة/ حكيمة حاج علي/ ٣٣/ كلية الآداب واللغات/ جامعة أحمد دراية أدوار-الجزائر ١٤٤٣ه-٢٠٢٢م.

المبحث الثاني: البدل المطابق المتفق عليه بين الشيخين وأثره في تماسك النظم في سورة البقرة:

نزل القرآن الكريم علىٰ طريقة العرب في بيانهم، ليعجزهم بفصاحته وبلاغته فيما تفردوا فيه، وتفاخروا به، ومن طرائق العرب في بيانهم أن يتناولوا موضوعا واحدا تقوم له القصيدة، أو موضوعا رئيسا في قصائدهم ثم تتتابع فيها موضوعات متناسقة فيما بينها بهدف تبيين هذا الموضوع الرئيس وشرح جوانبه وتأكيده. والوقوف علىٰ هذا الموضوع يتطلب تحليل القصيدة ودراسة كل مكوناتها بدءا من اسم القصيدة فكلماتها وتراكيبها وصورها وبديعياتها، ومقدمتها وخاتمتها وما بينهما من معان كلية أو تفصيلية، وموضوعات رئيسة أو فرعية، وكل ما في السياق الداخلي والخارجي للقصيدة.

وكذلك سور القرآن الكريم، فبعضها يتناول موضوعا واحدا كسورة يوسف، أو موضوعا تتآزر موضوعات أخرىٰ في سياق السورة لتوضحه وتؤكده، ويكون اسمها دالا علىٰ أبرز ما فيها، وهي طريقة عربية في تسمية الجملة من الكلام أو القصيدة بأشهر ما فيها(١)، وأظهر ما يمثل هذا النمط البياني سورة البقرة.

وهي سورة كريمة قصدت إلىٰ بيان موضوعات عظيمة تتوافق فيما بينها؛ لتبرز مقصود السورة الأعظم الذي حده الإمام البقاعي بقوله: (إقامة الدليل علىٰ أن الكتاب هدىٰ ليتبع، في كل ما قال، وأعظم ما يهدىٰ إليه الإيمان بالغيب، ومجمعه الإيمان بالآخرة، فمداره الإيمان بالبعث الذي أعربت عنه قصة البقرة فلذلك سميت بها

(١) ينظر/ البرهان في علوم القرآن/ الزركشي/ ١/ ص٢٧٠/ ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم / دار التراث / القاهرة.

السورة)[١] وكل ما في السورة الأطول بين سور القرآن الكريم من موضوعات عديدة توحيدية أو تعبدية أو تشريعية أو قصصية أو تربوية -تبرز جانبا من هذا المقصود، وتفصل جزءا من مجمله.[٢]

والمتدبر لنظمها الممتد ونصها الأطول يجد تماسكه وتلاحم مكوناته كلمات فجملا فآيات فموضوعات، وجميعها تلتف حول مقصودها الأعظم، وكان لكثير من الأساليب أثر كبير في تماسك نصها، وترابط نظمها، ويبرز دور البدل المطابق من بين تلك الأساليب في هذا التماسك الذي جعلها لا تختلف عن السور القصيرة ترابطا وتماسكا.

وستتلبث الدراسة أمام مواقع البدل التي اتفق فيها الشيخان ثم ما اختلفا فيها دراسة وموازنة، ثم ستقول كلمتها بما يتفق مع السياق وما يتسق مع معنىٰ الآية ويعززه، والله أعلم بمراده.

توافقت بنات فكر الشيخين في رسم المعنىٰ، وتآلفت رؤاهما في التعبير عنه، فوجدت الدراسة اتفاقًا عامًا بينهما في اختيار البدل وتفضيله في موقعه من سياق الآية، أو تفضيل غيره عليه من أوجه الإعراب الأخرىٰ، في واحد وعشرين موقعًا في اثني عشر سياقًا من سياقات السورة العديدة، فكأنما كان الشيخان يتبادلان الأفكار، ويتشاركان إبداع النص القرآني وبلاغته.

---

(١) نظم الدرر في ترتيب الآيات والسور/ ١/ ٦٥/ دار الكتاب الإسلامي.

(٢) تنظر مقاصد السورة في/ النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم/ محمد بن عبد الله دراز/ ١٦٤-٢١١/ دار القلم الكويت.، والعزفُ علىٰ أنوار الذِّكر - معالم الطريق إلىٰ فقه المعنىٰ القرآنيّ في سياق السورة/ محمود توفيق محمد سعد/ ١٣٤-١٤٠.

يعد هذا التوافق –في اختيار البدل أو غيره– علامة علىٰ قدرة كل منهما علىٰ الإمساك بمفاتيح سمات اللغة القرآنية وخصائصها والتعبير عنها بأسلوب يتسق مع توجهه العلمي بين الاهتمام بالنظرية النحوية أو الاهتمام بالوجهة البيانية.

ولعل هذا الاتفاق يمثل نموذجًا يحتذىٰ به في مجال دراسة النص القرآني، ويدعو إلىٰ مزيد من البحث والدراسة في هذا المجال المهم، خاصة وأن اتفاقهما قد لا يكون في اختيار البدل، وإنما يكون في أمر آخر كالخبر أو النعت وفقا لما يقتضيه المعنىٰ من وجهة نظرهما، وقد يختار أبو حيان للكلمة إعرابا أو اثنين أو أكثر بينما يتفق معه الطاهر بن عاشور في واحد منها ولا يذكر غيره، أو يفهم من تحريره للمعنىٰ اتفاقه مع أبي حيان دون التصريح بالبدل أو الخبر أو غيرهما، وهذا درس مثير للتدبر وإعمال الفكر، وجاءت مواقع البدل في سياقاتها علىٰ هذا النحو:

البدل في سياق الاستهلال ببيان كمال الكتاب هداية وإعجازا:

في هذا السياق موقع واحد للبدل في قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ [سورة البقرة:٢].

هي الآية الثانية في استهلال السورة الكريمة، وهو استهلال يبين عن علو مكانة القرآن الكريم وكمال هدايته للمتقين، الذين ذكرت أعمالهم القلبية والمادية، ومآل ذلك من تحقق الهداية والفلاح، وقد ذكرت التقوىٰ والمتقون في اثنين وثلاثين موضعا في السياق العام للسورة، مما يجعل للاستهلال حضور وهيمنة علىٰ المعنىٰ العام لسورة البقرة، وهذا ملمح دقيق لبلاغة الاستهلال فيها.

وعلاقتها بسياقها قوية ومترابطة، فاسم الإشارة (ذلك) إشارة إلىٰ الصراط في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [سورة الفاتحة:٦]، كأنهم لما سألوا الهداية إلىٰ الصراط المستقيم قيل لهم: ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب... وهذا القول أولىٰ لأنه إشارة إلىٰ شيء سبق ذكره، لا إلىٰ شيء لم يجر له

ذكر)[١] كالإشارة إلىٰ التوراة والإنجيل، ومن قال بذلك (فقد أبعد النجعة، وأغرق في النزع، وتكلف مالا علم له به)[٢]

وإذا كان المقصود بالصراط الإسلام فإن الكتاب هو منهجه ودستوره، وبهذا يكون السياق الكريم الموصول بين السورتين، قد أقام المعنىٰ علىٰ التثنية (الصراط المستقيم/ ذلك الكتاب) توضيحا وبيانا وتناسقا وترابطا، وهو من مناهج البيان القرآني الكريم وطرقه ذات التأثير في نفوس المتلقين.

بلاغة البدل (الكتاب) ودوره في تماسك النظم:

اختار أبو حيان أن تكون جملة (ذلك الكتاب) مستقلة من مبتدأ وخبر، وحجته (لِأَنَّهُ مَتَىٰ أَمْكَنَ حَمْلُ الْكَلَامِ عَلَىٰ غَيْرِ إِضْمَارٍ وَلَا افْتِقَارٍ، كَانَ أَولَىٰ أَنْ يَسْلُكَ بِهِ الْإِضْمَارَ وَالِافْتِقَارَ)[٣]. وقد علل الدرويش لهذا الوجه قائلا: (وهو أولىٰ من جعله بدلا لاسم الإشارة لأنه قصد به الإخبار بأنه الكتاب المقدس المستحق لهذا الاسم تدعيما للتحدي، والجملة ابتدائية لا محل لها من الإعراب...)[٤]، وقصر هذه الإفادة علىٰ الخبر يجانبه الصواب، وسنزيد ذلك بيانا. ثم يذكر أبوحيان الوجوه الإعرابية الأخرىٰ (فقالوا: يجوز أن يكون ذلك خبرا لمبتدأ محذوف تقديره هو ذلك الكتاب، والكتاب صفة أو بدل أو عطف بيان)[٥] وقوله (قالوا) دال علىٰ تضعيفه لهذه الأوجه الإعرابية التي من بينها البدل.

---

(١) البحر المحيط/ ١/ ٦١، وينظر/ تناسق الدرر في تناسب السور / السيوطي / ص٤٠ / ت / عبد الله الدرويش / عالم الكتب.

(٢) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير/ ٨٣/ دار ابن حزم/ ط١/ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٣) السابق/ ١/ ٦١.

(٤) إعراب القرآن/ ١/ ٢٤.

(٥) السابق/ ١/ ٦٢.

ويجيز الطاهر بن عاشور في إعراب (الكتاب) وجهين: (أن يكون بدلا من اسم الإشارة لقصد بيان المشار إليه لعدم مشاهدته، فالتعريف فيه إذن للعهد، ويكون الخبر هو جملة لاريب فيه، ويجوز أن يكون الكتاب خبرا عن اسم الإشارة ويكون التعريف تعريف الجنس فتفيد الجملة قصر حقيقة الكتاب علىٰ القرآن بسبب تعريف الجزئين)(١)، وتقديمه الإعراب علىٰ البدلية يفهمنا أن ميله إليه أظهر، وهو المختار لدىٰ كثير من المعربين.(٢)

ومما يستخلص من النظر في تناولهما للبدل في الآية ما يلي:

-اختار أبو حيان إعراب (الكتاب) خبرا لاسم الإشارة، وجعل الجملة مستقلة، وكذلك جملتا (لا ريب فيه- هدىٰ للمتقين) ولا حاجة للرابط بين الجمل الثلاث (لأن بعضها آخذ بعنق بعض)(٣)، وبهذا يكون مدركا لقضية تماسك النصوص وترابطها وتلاحم مفرداتها في إطارها العام. بينما قدم ابن عاشور إعراب (الكتاب) بدلا وخبر اسم الإشارة (لا ريب فيه) ومن ثم فالترابط واضح. ولم يمنع إعراب (الكتاب) خبرا لاسم الإشارة. فالوجهان عنده مقبولان.

---

(١) التحرير والتنوير/ ١/ ٢٢١.

(٢) ينظر/ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ ابن عطية/ ١/ ٨٣/ ت/ عبد السلام عبد الشافي/ دار الكتب العلمية- ط١- ١٤٢٢م، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون/ السمين الحلبي/ ١/ ٨١/ ت/ أحمد الخراط/ دار القلم-دمشق، والجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة/ محمود صافي/ ١/ ٣٢/ دار الرشيد دمشق- بيروت، مؤسسة الإيمان بيروت – لبنان/ ط٣/ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، المجتبىٰ من مشكل إعراب القرآن/ د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال/ ١/ ٦/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة/ ١٤٢٦هـ.

(٣) البحر المحيط/ ١/ ٦٤.

-لم يشر أبو حيان إلىٰ إفادة تعريف جزئي الجملة القصر صراحة، وإنما رجع إليه في نهاية تناوله للآية-وفق منهجه في تناول النكات البلاغية-بقوله: (هو الكتاب الكامل في الكتب)[١]، بينما كان تناول الطاهر بن عاشور أكثر توضيحا وبيانا للفائدة البلاغية لكلا الوجهين الإعرابيين، وكلاهما اختار ما يتسق مع توجهه في تفسيره، فأبو حيان يغلب عليه المنهج النحوي والنكات البلاغية تابعة لذلك، بينما ينشغل منهج الطاهر بن عاشور بالمسائل البيانية والمسائل النحوية سبيل إلىٰ إظهار تلك المسائل البلاغية.

-لا ترفض الدراسة وجها إعرابيا، وإنما ترجح ما تراه أقرب لروح السياق، والأكثر تأثيرا في موقعه، والراجح هنا اختيار صورة البدل في (ذلك الكتاب) لدورها الأوسع في تماسك النظم من حيث الشكل ومن حيث المضمون، فمن حيث الشكل سيكون ذلك مبتدأ خبره جملة (لا ريب فيه) فتجتمع الآية في جملة واحدة وهذا يجعلها أكثر ترابطا وتلاحما.

وأما من حيث المضمون فصورة التركيب بالبدل تولىٰ اهتمامها بالبدل (الكتاب) وتسلط الضوء عليه[٢]، فالبدل يفيد التوضيح بعد الإبهام في المبدل منه (ذلك) ولولا البدل لاحتارت العقول في البحث عن المشار إليه، ولا يمكن الاستغناء عن المبدل منه، فهو تهيئة وتمهيد حتىٰ إذا جاء البدل من بعد تلقته النفوس بالقبول.

---

(١) السابق/ ١/ ٦٤

(٢) وليس المقصود بهذا الاهتمام (أن المبدل منه لا فائدة فيه، وليس له غرض، بل علىٰ معنىٰ أن البدل مستقل بنفسه وإن العامل كأنما باشر البدل) معاني النحو/ د/ فاضل السامرائي/ ٣/ ٢٠٣/ دار الفكر/ الأردن-ط١/ ١٤٢٠ه-٢٠٠٠م

ويصبح بذلك (الكتاب) محور المعنىٰ ومركزه الذي يلتف حوله النظم في آيات الاستهلال من الآية الأولىٰ إلىٰ الخامسة تبيينا وتعظيما لشأنه ورفعة لمكانته وتأثيره الأعمق في المتقين بتحقيق الصفات التي وصفوا بها في الآيات، وقد تآزرت مكونات النظم لتأكيد هذا المعنىٰ، من ذلك:

- دلالة اسم الإشارة علىٰ تمييز المشار إليه أكمل تمييز، لتنزيله منزلة الحسي المشاهد، حيث تجتمع الكلمة مع الإشارة باليد، واصطفاء الإشارة للبعيد (إيذان بعلو شأنه وكونِه في الغايةِ القاصيةِ من الفضل والشرف)(١)، واصطفاء الإشارة بالبعد ينسجم مع مقام الاستهلال بمكانة الكتاب العالية، ومقامه الرفيع.
- تعريف الكتاب ونفي الريب عنه وتعظيم تأثيره في هداية المتقين، فالكتاب الكريم لا غيره بلغ المنزلة العالية شرفا وعلوا إذا ما قورن بغيره من الكتب، ومصدر هذا التكريم أنه كلام الله جل وعز، ولإعجازه الذي أخضع لسلطانه رقاب العرب، ولهدايته المتقين إلىٰ الطريق المستقيم، ولشريعته الصالحة لكل زمان ومكان، لتقيم الناس علىٰ جادة الطريق، وضمانة أمن حياتهم وسلامتها واستقرارها.

صورة التركيب بالبدل في هذا السياق أحكم بلاغة في ترابط جمل الآية، وأدق بيانا في التفاف المعنىٰ حول البدل، بينما الخبرية تجعل (الكتاب) مسندا، والمسند تابع للمسند إليه، فهو أقل في الاهتمام من المسند إليه، وأنت الواجد من سياق الآية مزيد الاعتناء بالكتاب الكريم والبدل يسهم في هذا، لكون الاهتمام يكون به، كما أن الخبرية تجعلنا نبحث عن رابط يجمع بين جملة (ذلك الكتاب) والجمل بعدها، وهو ما سطره البلاغيون بأن جملة (لاريب فيه) مفصولة لكمال الاتصال بجملة (ذلك

(١) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم/ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفىٰ/ ١/ ٢٣/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الكتاب) مؤكدة لها بمنزلة التوكيد اللفظي لاتحاد المعنىٰ، فتدل بذلك علىٰ (أنه في الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها، حتىٰ كأنه هداية محضة)(١)، ومما لا شك فيه أن مالا يحوج إلىٰ البحث عن رابط أولىٰ مما يحوج إليه، وهذا متوفر مع اصطفاء إعراب (الكتاب) بدلا.

ويتسق مع توجه صورة البدل إلىٰ الوقوف علىٰ الاهتمام بالكتاب وعلو مكانته اصطفاء التعبير بالكتاب دون القرآن، وهما الاسمان المشهوران (وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلىٰ أن من حقه العناية بحفظه في موضعين، لا في موضع واحد، أعني: أنه يجب حفظه في الصدور وفي السطور جميعًا، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرىٰ، فلا ثقة بحفظ حافظ حتىٰ يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب.. ولا ثقة بكتاب كاتب حتىٰ يوافق ما هو عند الحفاظ ، بالإسناد الصحيح المتواتر)(٢)

والنكتة البلاغية من وراء مجيء الكتاب دون القرآن – والله أعلم بمراده– في هذا السياق، اللفت إلىٰ علو شأنه، وأنه مصدر موثوق به، لحفظ الله له ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر:٩]، ومن أسباب هذا الحفظ: القراءة والكتابة، والكتابة أعم وأوثق وأعظم حفظا لكلام الله تعالىٰ(٣)، وتعريفه للتعظيم في الكمال والرفعة والهداية فهو الكامل الجامع الموثق الذي لا يغير ولا يبدل. فالنظم متجه إلىٰ تشريفه والتنبيه إلىٰ علو منزلته، في الهداية التي أشارت السورة

(١) الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع/ الخطيب القزويني/ ١٢١، ١٢٢/ ت/ إبراهيم شمس الدين/ دار الكتب العلمية– بيروت لبنان.

(٢) النبأ العظيم / د/ محمد عبد الله دراز / ص١٣/ دار القلم الكويت/ ط٤.

(٣) ينظر/ تفسير الشعراوي/ محمد متولي الشعراوي/ ١/ ١١٠/ أخبار اليوم–قطاع الثقافة.

الكريمة إلىٰ جوانب وزوايا كثيرة منها، فاشتملت علىٰ قصص الأنبياء والصالحين والمشركين والمنافقين، ومواقف بني إسرائيل المخزية، والتشريعات كالصلاة والزكاة والصيام والحج، إلىٰ آخر ما تناوله البيان الكريم فيها، وناسب ذلك الحشد أن يعبر بالكتاب دون غيره.

موازنة بين (ذلك الكتاب) - (هذا كتاب):

وتختلف صورة المعنىٰ بين التركيب في هذه الآية (ذلك الكتاب) وبين التركيب في قوله تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [سورة الأنعام:١٥٥]، حيث نقل الآلوسي عن السهيلي سبب خلو آية الأنعام من الإشارة للبعد (لأنه إشارة إلىٰ ما عنده سبحانه لم يأت بذلك مع بعد الدرجة وهذا الذكر حروف التهجي في الأول وهي تقطع بها الحروف وهو لا يكون إلا في حقنا وعدم ذكرها في الثاني فلذا اختلف المقامان وافترقت الإشارتان)(١)، وهو بيان غير شاف، إذ بتدقيق النظر يمكننا الوقوف علىٰ ما يلي:

أولا- اختلف المقامان، واقتضىٰ مقام بيان منزلة الكتاب وكمال هدايته وارتباطها بالمتقين، أن تأتي الإشارة للبعيد لزيادة بيان هذا المعنىٰ وتقريره في نفوس المتقين. بينما ركز مقام آية الأنعام علىٰ بيان فضل القرآن ومنزلته وآثاره المباركة في مقابل الكتاب الذي أوتي موسىٰ -عليه السلام- فالمقام مقام موازنة والإشارة للقريب تبرز أنه قريب منهم يمكنهم التحقق من ذلك.

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ للألوسي/ ١/ ١٠٨/ ت/ علي عبد الباري عطية/ دار الكتب العلمية – بيروت-ط١- ١٤١٥ هـ.

ثانيا- دلالة صورة التركيب في استهلال البقرة علىٰ عموم الهداية وكمالها، بينما خصصت دلالة صورة التركيب في آية الأنعام علىٰ جانب واحد وهو بركة الكتاب الكريم، ولا يخفىٰ أن الهداية أعم وأكمل، ولا يكون هاديا إلا إذا كان مباركا، فالبركة داخلة أيضا في صورة استهلال البقرة.

البدل في سياق بيان صفات المتقين:

في هذا السايق نتلبث أمام موقعين للبدل: الأول: في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [سورة البقرة:٣-٥].

البدل بالاسم الموصول (الذين) أتىٰ في سياق استهلال السورة في موقع واحد في قوله: (الذين يؤمنون بالغيب...) وهو سياق يبين صفات المتقين، حيث افتتح القرآن بالكشف عن أسرارهم وأنواره التي يسكبها في هذه القلوب التي جاءت إليه تقية، خائفة حساسة، مهيأة للتلقي(١). ولا يشك أحد أن هدايته للجميع، وإنما (خَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ الْمُتَّقِينَ بِهِدَايَتِهِ وَإِنْ كَانَ هُدًىٰ لِلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ تَشْرِيفًا لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ آمَنُوا وَصَدَّقُوا بِمَا فِيهِ. وَرُوِيَ عَنْ أَبِي رَوْقٍ أَنَّهُ قَالَ:" هُدىً لِلْمُتَّقِينَ" أَيْ كَرَامَةٌ لَهُمْ، يَعْنِي إِنَّمَا أَضَافَ إِلَيْهِمْ إِجْلَالًا لَهُمْ وَكَرَامَةً لَهُمْ وَبَيَانًا لِفَضْلِهِمْ)(٢)، ومن آثار هذه الهداية المباركة دعوته المتلقين إلىٰ الدخول في زمرة المتقين؛ لنيل هذا الشرف وتلك الكرامة بهذه اللفتة المباركة إلىٰ مكانتهم وفضلهم.

---

(١) في ظلال القرآن/ سيد قطب/ ١/ ٣٩/ دار الشروق/ ط١/ ١٩٧٢م.

(٢) الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي/ ١/ ١٦١/ ت/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش/ دار الكتب المصرية – القاهرة/ ط٢ ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.

بلاغة البدل (الذين) ودوره في تماسك النظم:

ينقل أبو حيان إعراب أهل العلم للذين بصيغة ذكروا، مما يعني أن له رأيا في ذلك، فيقول: (الذين: ذكروا في إعرابه الخفض علىٰ النعت للمتقين، أو البدل، والنصب علىٰ القطع، أو بإضمار أعني علىٰ التفسير قالوا، أو علىٰ موضع المتقين، تخيلوا أن له موضعا وأنه نصب، ... والرفع علىٰ القطع أي هم الذين، أو علىٰ الابتداء والخبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ [سورة البقرة:٥]، أولئك المتقدمة، وأولئك المتأخرة، والواو مقحمة، وهذا الأخير لا يليق مثله بالقرآن، والمختار في الإعراب الجر علىٰ النعت، والقطع إما للنصب وإما للرفع)[(١)] وبعد أن ذكر كل الأوجه التي ارتضاها أهل العلم، ورفض الأخير منها لكونه لا يليق بكتاب الله تعالىٰ، إذ الاتصال أعلىٰ من الاستئناف الذي جوزه الزمخشري وعلل له[(٢)]. واختار الذي يراه مناسبا لسياق الآية، وهو النعت أو القطع نصبا أو رفعا، ولا يرىٰ للبدل وجها مناسبا للمعنىٰ.

ويتفق الطاهر بن عاشور مع أبي حيان في إعراب (الذين يؤمنون بالغيب..) علىٰ أنها موصولة بما قبلها صفة مجرورة للمتقين، ولم يذكر البدل كوجه إعرابي، قائلا: (يتعين أن يكون كلا متصلا بقوله (للمتقين) علىٰ أنه صفة لإرداف صفتهم الإجمالية بتفصيل يعرف به المراد)[(٣)]، واتفق معه أيضا في رفض الاستئناف[(١)] الذي أشرنا إليه آنفا.

---

(١) البحر المحيط/ ١/ ٦٧.

(٢) ينظر/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ ١/ ٣٧، ٣٨/ دار الكتاب العربي ١٩٤٧م.

(٣) التحرير والتنوير/ ١/ ٢٢٨.

وقد وقفت في كتب أهل العلم علىٰ مواقع البدل بالاسم الموصول في سياق سورة البقرة فوجدتها ٢٧ مرة مما يلتمس من هذه الكثرة التي لم تتحقق مع غير الموصول-دور الموصول في مواقع البدل وقوة تأثيره في تماسك النظم.

ولما كان البدل تنبيها إلىٰ البدل وليس المبدل منه، وكان الاهتمام في النعت يتوجه إلىٰ الموصوف، فإن اختيارهما النعت في هذا الموقع- وهو اختيار كثير من أهل العلم (٢)- أراه متسقا مع سياق الآية الذي يسلط الضوء علىٰ صفة التقوىٰ، وهي صفة ذات شأن علي في تهيئة القلوب للانتفاع بهداية القرآن الكريم وتوجيهه، والواقع يثبت ذلك ويؤكده، فالقرآن بين يدي الناس مقروءا ومسموعا، والذين يستجيبون لهديه هم أصحاب القلوب المخلصة التي تتقي الله وتخشاه وتحذر أشواك المعاصي ووساوس الشياطين(٣)، ومن ثم فإن إعراب (الذين) نعتا أولىٰ، لكونه يظهر صفة

---

(١) السابق/ ١/ ٢٢٩.

(٢) ينظر/ معاني القرآن وإعرابه/ الزجاج/ ١/ ٧٠، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / ١/ ٣٧، والتبيان في إعراب القرآن/ ١/ ١٦، وإرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم/ ١/ ٢٩ وما بعدها، وروح المعاني/ ١/ ١١٣.

(٣) يقول الألوسي: (ويكون الاقتصار علىٰ المتقين هنا بناء علىٰ تفسيرنا الهداية مدحا لهم ليبين سبحانه أنهم الذين اهتدوا وانتفعوا به كما قال تعالىٰ: إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها [النازعات: ٤٥] مع عموم إنذاره صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم وأما غيرهم فلا ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الإسراء:٤٥]. ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الإسراء:٨٢]. وأما القول بأن التقدير- هدىٰ للمتقين والكافرين- فحذف لدلالة المتقين علىٰ حد ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [سورة النحل:٨١].فمما لا يلتفت إليه) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ شهاب الدين محمود بن عبد الله

التقوىٰ، ويجلي الاهتمام بها ويبرزها في النظم، ويفصل صفات المتقين الذين وصفوا بصفات مدح جليلة القدر عظيمة الشأن. ولذلك فإن إعراب (الذين) نعتًا هو إشراق من نور التقوىٰ، يضيء لنا دروب الفهم والاستجابة لهداية القرآن الكريم.

وللنعت أيضا نكتة بلاغية دقيقة في تماسك نظم الآيات الكريمة والتواصل بينها، من خلال الربط والتطابق بين الصفة والموصوف في المعنىٰ والإعراب والإفراد والتثنية والجمع، وزيد النظم ترابطا بورود الاسم الموصول مبهما، ثم أزيل هذا الإبهام بصلته، مما يسلط التركيز علىٰ جملة الصلة التي هي من جملة صفات المتقين.

ولم يخلُ النظم من أساليب الربط الأخرىٰ كبنائه علىٰ الإجمال (للمتقين) ثم التفصيل بالآيتين بعدها، وهي وسيلة بيانية تؤدي خدمة جليلة في تقرير المقصود في نفوس المتقين، بتفصيل المعنىٰ وتوضيحه، إذ يرد المعنىٰ -كما يقول البلاغيون- في صورتين: (الأولىٰ أكسبت المتلقي لكلام ربه علمًا لم يكن عنده منه شيء، ثم جاءت الثانية لتفيده علمًا أظهر منه وأبين، ولا يدل هذا علىٰ أن المعنىٰ الثاني غير الأول، وإنما هو هو مع زيادة عليه، والمتلقي حين يلامس قلبه المعنىٰ مرتين يكون علمه به أوثق وتمكنه منه أعظم، ومن ثم غلب علىٰ النظم القرآني تثنية معانيه، فيعلم بها إعلام تثنية ، تكون الثانية أبين إعلامًا، وأجلىٰ تفصيلاً من الأولىٰ)[1] مما يعين علىٰ

الحسيني الألوسي/ ١/ ١١٣/ ت/ علي عبد الباري عطية/ دار الكتب العلمية – بيروت- ط١- ١٤١٥ هـ.

(١) بلاغة الاستهلال بالحمد في السور الخمس/ للباحث/ ٥٠/ رسالة دكتوراه في كلية اللغة العربية بالمنوفية-جامعة الأزهر/ ١٤٢٧ه- ٢٠٠٦م.

الاستجابة لهداية القرآن الكريم، فمن خلال معرفة صفات المتقين، نستطيع أن نُقارن أنفسنا بهم ونُحاول أن نُصبح من أولئك الذين يُنير القرآن الكريم دروبهم.

والموقع الثاني للبدل في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [سورة البقرة:٥].

هذه الآية هي ثمرة لهذه الصفات الأم الظاهرة، يقول الإمام البقاعي: (ولما تضمن ما مضي أن إيمانهم كان من أعظم استدلال فأثمر لهم التمسك بأوثق العرىٰ من الأعمال استحقوا الوصف بالاستعلاء الذي معناه التمكن فقال: (علىٰ هدىٰ) أي عظيم، وزاد في تعظيمه بقوله: (من ربهم) أي المحسن إليهم بتمكينهم منه ولزومهم له تمكين من علا الشيء، ولما لم يلازم الهدىٰ الفلاح عطف عليه قوله مشيرًا بالعاطف إلىٰ مزيد تمكنهم في كل من الوصفين ﴿وأولئك﴾ أي العالو الرتبة ﴿هم﴾ أي خاصة ﴿المفلحون﴾ أي الكاملون في هذا الوصف الذين انفتحت لهم وجوه الظفر)[1] فالسياق يجلي المدح للمتقين، بذكرهم إجمالا (للمتقين) وتفصيلا بذكر صفاتهم وثمرتها.

بلاغة البدل (هم) ودوره في تماسك النظم:

تعددت وجهات أهل العلم في إعراب الضمير (هم) في الآية الكريمة[2]، حيث يجيز أبو حيان إعراب الضمير (هم) فصلا أو بدلا[3]، واتفق معه الطاهر بن عاشور

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ ١/ ٨٩، ٩٠/ دار الكتاب الإسلامي/ ١٤٠٤ه-١٩٨٤م.

(٢) ينظر/ معاني القرآن وإعرابه/ ١/ ٧٤، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ ١/ ٨٦، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل/ النسفي/ ١/ ٤٤، وروح المعاني/ ١/ ١٢٥.

(٣) البحر المحيط/ ١/ ٧٣.

في جعل الضمير للفصل(١)، فزاد أبو حيان وجها إعرابيا آخر، وهو البدل، وترك للقارئ حرية الاختيار بين هذا وذاك.

والبدل بالضمير (هم) الذي جاء ثلاث مرات في سياق سورة البقرة أراه في هذا الموقع أشد توافقا مع المعنىٰ المعبر عنه، لدوره البلاغي المؤثر في توضيح المبدل منه (أولئك) وتبيينه وتأكيد هذا المعنىٰ الجليل المقرر أن المقصود بالإشارة هم الذين كتب لهم الفلاح.

واجتمعت هذه الفائدة للبدل مع تمييز اسم الإشارة أكمل تمييز، مما يُضفي علىٰ الجملة مزيدا من الوضوح والدقة، كما يُعزز المعنىٰ ويُؤكد عليه، والتركيب بتعريف المسند والمسند إليه يفيد الحصر، بأنهم هم المفلحون لا غيرهم، وبذلك يقف المتلقي علىٰ زيادة الثناء عليهم وتكريمهم والعناية بشأنهم.

كما أن التركيب الذي برز فيه البدل يؤدي إلىٰ الجمع بين مكونات الجملة وزيادة ترابطها، فأولئك مبتدأ، وضح بالبدل (هم) والترابط بينهما أقوىٰ من ضمير الفصل، ثم جيء بالخبر (المفلحون) فربطت الجملة الاسمية بين المسند والمسند إليه، ودلالة الاسمية علىٰ الاستمرارية رابط معنوي آخر، فهم دائما مفلحون ثابتون علىٰ الفلاح، وثبات المعنىٰ يوحي بثبات التركيب.

البدل في سياق بيان صفات المنافقين:

في سياق بيان صفات المنافقين في مقدمة السورة (من الآية الأولىٰ إلىٰ الآية العشرين) جاء البدل في موقع واحد اشتمل عليه قوله تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾ [سورة البقرة:١٦].

(١) التحرير والتنوير/ ١/ ٢٤٦.

تقصد الآية إلىٰ أن المنافقين (ما كانوا رشداء في اختيارهم الضلالة علىٰ الهدىٰ، واستبدالهم الكفر بالإيمان، واشترائهم النفاق بالتصديق والإقرار)(١)، وجاءت في سياق الحديث عن الفئة الثالثة التي ليست في نقاء المتقين وصفائهم وخشية قلوبهم وتصديقهم بالغيب، وليست في وضوح عداوة المشركين وتكذيبهم، وإنما هي فئة (تتلوىٰ في الحس، وتروغ من البصر، وتخفي وتبين.. إنها صورة المنافقين)(٢)، ومن ثم طال السياق الذي يرسم صورة خسرانهم ليتناسب مع تلونهم وتعدد وجوههم القبيحة، بخلاف المتقين والمشركين فكل فريق منهما واضح وصريح، وتضمن السياق إشارة سريعة إلىٰ اليهود بوصفهم شياطين المنافقين، قال جل وعلا: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة البقرة:١٤]، فما من مصيبة إلا ووراءها اليهود، ليحذر الناس.

بلاغة البدل (الذين) ودوره في تماسك النظم:

يناقش أبو حيان إعراب (الذين) فيمنع إعرابها بدلا من أولئك، لأن جملة (فما ربحت...) لا تصلح خبرا لوجود الفاء (لأن الخبر إنما تدخله الفاء لعموم الموصول، ولإبدال الذين من أولئك، صار الذين مخصوصًا لأنه بدل من مخصوص، وخبر المخصوص لا تدخله الفاء، ولأن معنىٰ الآية ليس إلا علىٰ كون أولئك مبتدأ والذين خبراً عنه)(٣)، وبذلك يكون اسم الإشارة مبتدأ والذين خبره، وفما ربحت... جملة معطوفة علىٰ جملة الصلة (اشتروا...)، وهذا الحسم في منع البدل يبرز الشخصية العلمية الواثقة المدققة لأبي حيان رحمه الله.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ ابن جرير الطبري/ ١/ ٣٣٢/ ت/ د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي/ هجر للطباعة والنشر.

(٢) في ظلال القرآن/ ١/ ٤٢.

(٣) البحر المحيط/ ١/ ١١٩.

ولم يشر الطاهر بن عاشور إلىٰ البدل في (الذين) لا من قريب ولا من بعيد، وإنما رأىٰ أن (أولئك...) استئناف بياني، فصلت فيه الجملة عما سبق لكونها كالتعليل له. ولم يذكر إعرابا صريحا للجملة، وجعل (أولئك/ الذين) قصر إضافي، طريقه تعريف الطرفين، مما يقرر كونهما مبتدأ وخبرا، وإذا كان أبو حيان فصل القول في الجانب النحوي وتطبيقاته، فإن الطاهر بن عاشور انشغل بالتناول البياني، فذكر القصر في جملة (أولئك الذين..) قصر المسند علىٰ المسند إليه، وهو قصر ادعائي باعتبار أنهم بلغوا الغاية في اشتراء الضلالة والحرص عليها إذ جمعوا الكفر والسفه والخداع والاستهزاء بالمهتدين(١).

وهذا الوجه الإعرابي الذي قال به كثيرون، كالزجاج وابن عطية والنسفي وأبي السعود والألوسي والدرويش ومحمد عبد اللطيف الخطيب، وآخرون(٢)-يجعل من اسم الإشارة مركز الجملة فهو مسند إليه يبرز صفاتهم ويسلط الضوء علىٰ خباثتهم ويميزها أكمل تمييز؛ ليتعرف عليها المتلقون ويجتنبون التلوث بها.

ومع اختيار هذا الوجه الإعرابي لا يمكنني تخطئة القول بالبدل، لكونه يجعل المشار إليه تمهيدا يهيئ نفوس المتلقين لتقبل نتيجة خسران المنافقين خسرانا مبينا، فيقر المعنىٰ في نفوسهم، ويساعدهم علىٰ الحذر من الاتصاف بما يلحقهم بصفوف هؤلاء المنافقين الخاسرين.

---

(١) التحرير والتنوير/ ١/ ٢٩٩.

(٢)- ينظر: معاني القرآن وإعرابه/ ١/ ٩١، والمحرر الوجيز/ ١/ ٩٧، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل/ ١/ ٥٣، إرشاد العقل السليم/ ١/ ٤٨، وروح المعاني/ ١/ ١٦٤، والجدول في إعراب القرآن/ ١/ ٦٤، والتَّفصيل في إعراب آيات التَّنزيل/ د/ عبد اللطيف محمد الخطيب وآخرون/ ١/ ٦٣-٦٤/ مكتبة الخطيب/ ط١/ ٢٠١٥م، وإعراب القرآن الكريم/ ١/ ٢٩.

وتآزرت الألوان البلاغية مع دلالة الجملة الاسمية (أولئك الذين...) في رسم صورة الخسران الذي مني به المنافقون الذين تحدثت عنهم الآيات السابقة بصفة خاصة وكل المنافقين في كل زمان ومكان بصفة عامة، من ذلك:

* أسلوب القصر وطريقه تعريف المسند والمسند إليه، وهو قصر ادعائي كما مضىٰ.

* وما في الاشتراء من صورة استعارية تبرز الضلالة والهدىٰ في صورة مشترىٰ وثمنه، وتبدو من وراء الصورة نفوس مريضة معقدة ملتوية، كانت الفرصة بين أيديهم، فرصة اتباع الهدىٰ، ولكنهم باعوه بثمن بخس (الضلالة) ونمت ظلال الصورة وتمددت بالجملة المعطوفة (فما ربحت تجارتهم...) ترشيحا وقوة وتجلية لنفوس جعلت حياتها موقوفة علىٰ البيع والشراء، ولو كان البيع فيما يشترىٰ ولا يباع، فخسرت الدنيا والآخرة.

* وبما في إطلاق الاشتراء من مجاز مرسل، وفي اشتروا الضلالة بالهدىٰ استعارة، مرشحة ب(فما ربحت تجارتهم) وإسناد الربح للتجارة مجاز عقلي، فالرابح التجار لا التجارة، ونفي الاهتداء كناية عن إضاعة الوقت، أو استعارة تمثيلية بتشبيه سوء تصرفهم حتىٰ في كفرهم بسوء تصرف من يريد الربح، فيقع الخسران(١).

وهذا الحشد للنكات البلاغية يوضح المعنىٰ ويؤكده في نفوس المتلقين، بأن هذه عاقبة خسران المنافقين، ليتقابل هذا الختام مع ختام صفات المتقين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [سورة البقرة:٥]، وختام صفات المشركين ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾

(١) السابق/ ١/ ٢٩٧-٣٠١، وينظر الكشاف/ ١/ ٧٠

[سورة البقرة:٧].، والنسق في ثلاثتها متشابه، من حيث الحشد البلاغي، بخاصة في الصورة البيانية الاستعارية (علىٰ هدىٰ) و(ختم الله علىٰ قلوبهم...) و(اشتروا الضلالة بالهدىٰ...) وكل ختام يكشف عاقبة كل فريق ويميزها، ليسهل علىٰ المتلقي اختيار الفئة التقية النقية (المتقين) ويفر من طريق من أشرك ومن نافق، وهذا الأسلوب التربوي المبني علىٰ طريقة التقابل القصصي من أقوىٰ أساليب التربية توجيها، وأعمقها أثرا.

واختيارهما بناء الجملة الاسمية (أولئك الذين....) بتعريف جزيئيها (المسند إليه والمسند) ورفض البدل من أبي حيان لا يعني أن الجملة خلت من رابط جامع بين مكوناتها، حيث إن تشكيل الجملة الاسمية بمكونيها (المبتدأ والخبر) يؤدي وظيفة ذات أثر في تماسك النص وترابطه. فمتىٰ ذكر المسند إليه انتظر المتلقي المسند، وبذكره يكتمل المعنىٰ ويتسق النظم، وهو أليق بمقام توضيح سوء عاقبة المنافقين، الذين باعوا الهدىٰ بالضلالة، فخسروا وخابوا، وهو خسران ثابت ومستمر في كل جيل، لمن يسير مسيرهم، ويختار اختيارهم، والجملة الاسمية هي المبينة عن هذا بدلالتها علىٰ الثبوت والاستمرار.

ومجيئ الآيات في سياق قصصي يلفت نظر الأمة إلىٰ خصيصتها البارزة وهي الوحدة الإيمانية، فهم (المتقون) بينما تتوزع الأمة المقابلة إلىٰ أمم وطوائف متنافرة متعاكسة، لا تجتمع إلا علىٰ شر أريد بالأمة المؤمنة، والأسلوب القصصي من وسائل تلاحم النصوص بما فيه من مقابلة معنوية بين أبطال كل قصة، وإبراز أهم الصفات التي تميز كل فريق أمام المتلقين ليحسنوا الاختيار وليحملوا عواقبه، إن خيرا وإن شرا.

والأسلوب القصصي أيضا كان ومازال المعين الأعلىٰ لتربية الأمة خاصة النشء علىٰ قيم الإسلام ومبادئه، لتنشئة الأجيال علىٰ الأخلاق العالية، لذلك عنيت أكثر اللغات والآداب، والديانات، والبيئات، والمعنيون بالتربية وفنونها بجمع القصص والحكايات، حتىٰ تكونت من ذلك مكتبة زاخرة في كل لغة حية راقية، وفي كل بيئة واعية عاقلة(١)، فكيف بأمة تضمن كتابها العديد من أحسن القصص، وأصحه، وأدقه في التوجيه والإرشاد والتربية. وإن البلاغة لهي القادرة علىٰ الكشف عن أسرار البناء القصصي، ودلائل كلماته وتراكيبه، مما يساعد في إثراء الأساليب التربوية الحاشدة في السياق القصصي في البيان الكريم.

البدل في سياق نداء الناس جميعا لعبادة الخالق العظيم:

وفي سياق نداء الناس لعبادة الله الذي خلقهم ورد البدل في موقع واحد في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [سورة البقرة: ٢١].

تعد هذه الآية الكريمة هي بداية موضوعات السورة ومقاصدها، فما تقدمها من آيات (الآية الأولىٰ حتىٰ ختام الآية العشرين) استهلال السورة ومقدمتها(٢)، ثم جاء ما بعدها توضيحا وتفصيلا لهذا المعنىٰ المجمل المستهل به، وهي مقدمة طويلة إذا ما قورنت بغيرها، وقد ناسبت بهذا الطول مقاصد السورة الكثيرة، ومهدت لمحاور معانيها العديدة.

(١) ينظر/ مقدمة/ قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال/ أبو الحسن علىٰ الحسني الندوي/ ٧/ مؤسسة الرسالة.

(٢) ينظر/ نظم الدرر في ترتيب الآيات والسور/ البقاعي/ ١/ ١٣٧.

وبعد أن تناولت المقدمة أصناف الناس الثلاثة: المؤمنين ثم الكافرين ثم المنافقين، نودوا وجميع من يعقل النداء كما قال ابن عباس، وقال غيره: اليهود، أو لهم وللمنافقين، أو لمشركي العرب وغيرهم، والأظهر قول ابن عباس، حيث لا يوجد دليل علىٰ تخصيص بعضهم دون بعض.(١)-وأمروا بعبادة الله الذي خلقهم والذين سبقوا لعلهم يفوزون بصفة التقوىٰ.

بلاغة البدل (الناس) ودوره في تماسك النظم:

لم يشر أبو حيان إلىٰ البدل في الآية الكريمة، وأعرب (الناس) صفة ل (أي) مرفوعة اللفظ.(٢)، وأي مبنية علىٰ الضم في محل نصب.

وأشار الطاهر بن عاشور إلىٰ إعراب الناس بدلا أو صفة من خلال تناوله لصيغة النداء بأي في قوله: (وأي في الأصل نكرة تدل علىٰ فرد من جنس اسم يتصل بها بطريق الإضافة، نحو أي رجل أو بطريق الإبدال نحو يا أيها الرجل...وقد ينادىٰ باسم جنسه أو بوصفه لأنه طريق معرفته أو لأنه أشمل لإحضاره كما هنا)(٣)، ومن ثم تبين اتفاقهما في وجه من الإعراب وهو الصفة.

وإعراب الناس وصفا لأي اختيار النحاس والزمخشري والعكبري(٤)، بينما أعربها الدرويش بدلا مرفوعا علىٰ لفظ (أي)(١)، وزاد صاحب الجدول مع البدل عطف البيان.(٢)

---

(١) البحر المحيط/ ١/ ١٥٢.

(٢) البحر المحيط/ ١/ ١٥٣.

(٣) التحرير والتنوير/ ١/ ٣٢٤.

(٤) إعراب القرآن/ النحاس/ ٢٦، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ الزمخشري/ ١/ ٨٩، والتبيان في إعراب القرآن/ العكبري/ ٢٨.

وقد جاء هذا التركيب مرة ثانية في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ [سورة البقرة:١٦٨]، وأجدني مائلا إلىٰ ترجيح الوجه التركيبي للبدل، حيث يؤدي وجها بلاغيا مؤثرا في المعنىٰ، باجتماع التنبيه ب (يا) مع الإبهام في (أي) وتوضيحه بالبدل (الناس) إلىٰ مجيء المعنىٰ في صورتين: صورة مبهمة ثم صورة موضحة مما يجعل للصيغة (يا أيها الناس) تأثيرا عميقا في المعنىٰ الجليل الذي سيقت الآية لأجله، وذلك بتدرج المعنىٰ من الإبهام إلىٰ التوضيح، فيزداد بذلك المعنىٰ تأكيدا في نفوس المتلقين، ومما يقوي اختيار البدل في التركيب ما يلي:

-أن مرجع الاهتمام في النعت يكون للمنعوت (أي) بينما يعنىٰ في البدلية ب(الناس)(٣)، وما يقوم به من تجلية المعنىٰ الخفي في المبدل منه (أي)، ولا شك أن المقصود بالرعاية هو الناس لا أي.

- الإحساس القوي من السياق السابق بلون من الإعراض في الحديث عن المشركين والمنافقين وشياطينهم من اليهود، ثم جيء بصيغة النداء لتسبغ نوعا من

---

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه/ محي الدين الدرويش/ ١/ ٥٣/ دار ابن كثير/ ١٤١٢ه-١٩٩٢م.

(٢) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة/ تصنيف محمود صافي/ ١/ ٧١/ دار الرشيد دمشق- بيروت، مؤسسة الإيمان بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

(٣) من المقرر عند النحويين أن البدل هو المقصود بالحكم/ ينظر/ دراسات لأسلوب القرآن الكريم/ محمد عبد الخالق عضيمة/ ١/ ٣٩/ تصدير/ محمود محمد شاكر/ دار الحديث، القاهرة.

الإقبال الذي يرغب في اختيار هذه (الصورة المستقيمة. الصورة النقية الخالصة. الصورة العاملة النافعة. الصورة المهتدية المفلحة.. صورة المتقين)(١)، وهذا ما يجعل النظم يلتف حول (الناس) المقصودين بالنداء لعبادة الله تعالىٰ.

وجمل النداء وحسن موقعه لكونه يبرز مكية نزول الآية، فيلهم خيال المتلقي للسباحة في سماء جلال ما يتناوله القرآن المكي من دعوة الناس جميعا مؤمنهم وكافرهم إلىٰ التوحيد والإيمان بالله واليوم الآخر والبعث، وكأنها ظلال دوحة غناء مباركة، وروائح زكية، وجمال فياض، يحس المتلقي بها فتستثار الجماليات الإيمانية، وتعلو مكامن الخير والفضيلة في نفسه.

-تناغم توجه الرعاية في البدل إلىٰ (الناس) مع دلالة (الناس) علىٰ الشمول والعموم، فالجميع مخاطب، والكل مطالب بعبادة الله وحده، الذي خلقكم وخلق من قبلكم، لكي يتحصلوا علىٰ صفة التقوىٰ، التي جعل القرآن الكريم هاديا لها، ومرشدا إليها، وبذلك تكون فاصلة الآية ناظرة إلىٰ مستهل السورة (هدىً للمتقين) وهذا نمط بياني قرآني يعين علىٰ تواصل المعاني وتوافقها، وترابط السياق وتماسك النص؛ لانعطاف ثانيه علىٰ أوله، وأصبح الترابط في الجملة بارتباط البدل بالمبدل منه واتباعه له، وقيامه بوظيفة التوضيح والتبيين، ثم ارتباط السياق بانعطاف معنىٰ الآية علىٰ معنىٰ الاستهلال، واستمداد مائها من مائه.

-تناسق توجه الاهتمام في البدل مع تأنق النظم بالالتفات من الغيبة في خطاب الأمم الثلاثة وذكر صفاتهم، توجه إليهم بالخطاب، ونكتته البلاغية كما ذكر الزمخشري: (هو فنّ من الكلام جزل، فيه هزّ وتحريك من السامع)(٢)، وزاد عليه

(١) في ظلال القرآن/ ١/ ٤٦.

(٢) الكشاف/ ١/ ٨٨.

الرازي أمورا منها: (كأنه سبحانه وتعالىٰ يقول : جعلت الرسول واسطة بيني وبينك أولا ثم الآن أزيد في إكرامك وتقريبك، فأخاطبك من غير واسطة ، ليحصل لك مع التنبيه علىٰ الأدلة، شرف المخاطبة والمكالمة... أنه مشعر بأن العبد إذا كان مشتغلا بالعبودية فإنه يكون أبدا في الترقي، بدليل أنه في هذه الآية انتقل من الغيبة إلىٰ الحضور...أن الآيات المتقدمة كانت في حكاية أحوالهم، وأما هذه الآيات فإنها أمر وتكليف، ففيه كلفة ومشقة فلا بد من راحة تقابل هذه الكلفة، وتلك الراحة هي أن يرفع ملك الملوك الواسطة من البين ويخاطبهم بذاته)(١)

وأصبح التنبيه واللفت في النظم بارزا بما تضمنه البدل والالتفات من أسرار بلاغية اقتضاء للمقام الذي يقتضي إيضاح المعنىٰ المقصود المتضمن الأمر بالعبادة للترقي إلىٰ منزلة التقوىٰ، والإبهام ثم التوضيح ثم التوجه بذلك إلىٰ المخاطبين أبلغ في استثارة مكامن التفكير والانتباه، للوقوف علىٰ ما يراد منهم، وما تفضل به عليهم بخطابهم تكريما وتشريفا.

البدل في سياق الرد على مثيري الفتنة والشغب من أمثلة القرآن:

في هذا السياق يبرز البدل في موقعين، أولهما: في قوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ [سورة البقرة:٢٦].

(١) مفاتيح الغيب/ فخر الدين الرازي/ ٢/ ٨٢ وما بعدها/ دار الفكر –ط١ ٢٠٠٥.

ذكر الواحدي وأهل التفسير في سبب نزول هذه الآية الكريمة أن الله تعالىٰ لما ذكر الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل، ضحكت اليهود وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله. فأنزل الله هذه الآية(١).

كما جاءت بعد ضرب مثلين: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [سورة البقرة:١٧] ، ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [سورة البقرة:١٩].، فهما كغيرهما من الأمثال التي اتخذت سبيلا للتشكيك والشوشرة علىٰ الدعوة المباركة، فجاءت هذه الآية (دفعا لهذا الدس، وبيانا لحكمة الله في ضرب الأمثال، وتحذيرا لغير المؤمنين من عاقبة الاستدراج بها، وتطمينا للمؤمنين أنها ستزيدهم إيمانا)(٢)

ومن أوجه التناسب ما ذكره الطاهر بن عاشور: (أن الآيات السابقة اشتملت علىٰ تحدي البلغاء بأن يأتوا بسورة مثل القرآن، فلما عجزوا عن معارضة النظم سلكوا في المعارضة طريقة الطعن في المعاني فلبسوا علىٰ الناس بأن في القرآن من سخيف المعنىٰ ما ينزه عنه كلام الله ليصلوا بذلك إلىٰ إبطال أن يكون القرآن من عند الله بإلقاء الشك في نفوس المؤمنين وبذر الخصيب في تنفير المشركين والمنافقين)(٣)

وسيقت في سياق مشهدين متقابلين: مشهد مفزع، وهو إعداد النار التي وقودها الناس والحجارة إعدادا مستحقا للكافرين، ومشهد تنعيم أهل الجنة الذين يتفكهون بثمرات تشبه ثمرات الدنيا تشابها ظاهريا، فإذا ما تناولوها وجدوها مختلفة حقيقة، ثم

---

(١) أسباب النزول/ الواحدي/ ٢٣/ ت/ عصام بن عبد المحسن الحميدان/ دار الإصلاح- ط٢-١٤١٢هـ-١٩٩٢م، وينظر/ أسباب النزول المسمىٰ (لباب النقول في أسباب النزول) السيوطي/ ١٣/ مؤسسة الكتب الثقافية-بيروت- لبنان/ ط١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

(٢) في ظلال القرآن الكريم/ ١/ ٥٠، وينظر/ البحر المحيط/ ١/ ١٩٣ وما بعدها.

(٣) التحرير والتنوير/ ١/ ٣٥٧، ٣٥٨.

جاء ضرب المثل بالبعوضة تأكيدا لطلاقة القدرة وسعة العظمة، وهيمنة الخالق الذي أودع في هذه المخلوقات الصغيرة ما يؤكد طلاقة قدرته تعالىٰ وسعة علمه الذي لا يعجزه خلق هذه النار المعدة للكافرين، ولا يعجزه إعداد هذا التنعيم والتفكه لعباده المؤمنين.

وهذا التناسب البين بين الآية وما قبلها لا يتسق معه قول الطاهر بن عاشور: (قد يبدو في بادىء النظر عدم التناسب بين مساق الآيات السالفة ومساق هاته الآية)[(١)] في مستهل بيانه لعلاقة الآية بما قبلها، والله أعلم

بلاغة البدل (بعوضة) ودوره في تماسك النظم:

تعددت أوجه الإعراب في هذا الموقع[(٢)]، وقد ذكرها أبوحيان علىٰ وجه التفصيل، وجاء البدل في موقعين: الأول: في (ما) يقول أبوحيان في ذلك: (وما: إذا نصبت بعوضة زائدة للتأكيد أو صفة للمثل تزيد النكرة شياعًا، كما تقول: ائتني برجلٍ ما، أي: أيّ رجل كان. وأجاز الفراء، وثعلب، والزجاج: أن تكون ما نكرة، وينتصب بدلاً من قوله: مثلاً.)[(٣)]

والموقع الثاني: في (بعوضة) وبعد أن عرض الأوجه الإعرابية لها اختار أبو حيان إعراب (ما) صفة جاءت لفائدة مهمة في المعنىٰ، وهي زيادة دلالة التنكير في (مثلا)

---

(١) التحرير والتنوير/ ١/ ٣٥٧.

(٢) ينظر/ معاني القرآن وإعرابه/ الزجاج/ ١/ ١٠٤/ عالم الكتب-١٩٨٨م، والكشاف/ ١/ ١١٤، والمحرر الوجيز/ ١/ ١١٠، ١١١، والتبيان في إعراب القرآن/ العكبري/ ١/ ٤٣، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن/ البغوي/ ١/ ١٠٠/ ت/ عبد الرزاق المهدي/ دار إحياء التراث العربي/ ط١/ بيروت ١٤٢٠م.

(٣) البحر المحيط/ ١/ ١٩٧.

علىٰ الشيوع، فما يستحي جل جلاله من ضرب المثل أي مثل صغيرا كان أو كبيرا أو غير ذلك. وأما (بعوضة) فهي عنده بدل(١)

ولم ينشغل الطاهر بن عاشور بهذه الأوجه الإعرابية، ولم يبتعد عن اختيار أبي حيان، فما عنده (مزيدة لتكون دلالتها علىٰ التأكيد أشد)(٢) وفي كلمة مزيدة عندهما نظر، فهي كلمة غير مستساغة، فلا مزيد في القرآن الكريم، ولكل مكونات النظم المبارك فائدة ذات أثر في المعنىٰ، وقد جاءت هنا –كما ذكرا– لنكتة بلاغية وهي إضافة فائدة قوة التوكيد.

وأما (بعوضة) فهي بدل أو عطف بيان(٣)، وهو متفق مع أبي حيان في اختيار البدلية، ومخالف له في العطف، حيث منعه أبو حيان متبعا مذهب الجمهور الذي يمنع عطف البيان في النكرات(٤). ولعل الطاهر ارتضىٰ ما ارتضاه الفارسي الذي ذهب إلىٰ جواز إعراب بعوضة عطف بيان(٥).

وموقع البدل هنا مكين، وبه قال أبو السعود والألوسي وصاحب الجدول والدرويش وغيرهم(٦)، ونكتته البلاغية توضيح المراد ب (مثلا) وإزالة الإبهام فيه، والكشف عن المراد منه، والمعنىٰ إذا ورد مبهما يلفت النظر ويثير الذهن للتعرف علىٰ ما وراء هذا الإبهام، فإذا ما وجد بغيته في (بعوضة) فإن النفس تقبل عليه،

---

(١) ينظر/ البحر المحيط/ ١/ ١٩٨.

(٢) التحرير والتنوير/ ١/ ٣٦٢.

(٣) ينظر/ السابق.

(٤) البحر المحيط/ ١/ ١٩٨.

(٥) السابق.

(٦) ينظر/ إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم/ ١/ ٧٢/ وروح المعاني/ ١/ ٢٠٨، والجدول في إعراب القرآن/ ١/ ٨٤، وإعراب القرآن الكريم/ عبد الله علوان وآخرون/ ١/ ٣٥/ دار الصحابة للتراث – طنطا/ ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.

وتتمسك به، ويقع المعنىٰ بذلك من النفس موقعا مكينا. ولا يتوقف تأثير البدل في المعني فحسب، وإنما له دور مهم في حفظ النظم من التفكك، بسبب مزية الاهتمام بالبدل الذي يزيل الغموض في المبدل منه، وإنشاء علاقة التواصل بين التابع والمتبوع، وتمهيدا لما بعدهما، ولهذه المزايا لا يمكن الاستغناء عن تركيب البدل في موقعه هذا.

ومما يسند قوة تأثير البدل في المعنىٰ ما يلي:

* بناء النظم علىٰ أسلوب التوكيد ب (إن) لتقرير أنه تعالىٰ لا يستحي من ضرب المثل بما يشاء صغيرا كان أو كبيرا أو غير ذلك.

* اصطفاء التعبير بالمسند إليه (الله) دون غيره لأنه اسم الذات الجامع لجميع صفات الكمال والجلال، ومجيئه أوقع في إلقاء المهابة في نفوس المتلقين، وأنسب للإقناع بأن كلامه جل وعز هو الأبلغ والأجل والأعلىٰ في نقض شبهاتهم وتمويهاتهم بأن اشتمال القرآن الكريم علىٰ مثل هذا المثل دليل علىٰ أنه ليس من عند الله.

* اختيار المسند (يستحيىٰ) مضارعا من الاستحياء خاصة زيادة في نقض حجتهم المتمثلة في إنكارهم سوق مثل هذه الأمثال مراعاة لكراهية الناس لذلك، وهذه الحجة ضرب من الاستحياء الذي أكد النظم أن الله جل وعلا لا يستحي من ضرب هذه الأمثال(١)، ولو كانت بعوضة.

كل هذه النكات البلاغية تبرز أهمية البدل (بعوضة) وقوة تأثيره في المعنىٰ، وأنه مستهدف لضرب المثل المساق لدحض شبهات اليهود ومن نسج بخيطهم الخبيث في التشكيك والصد عن الهدىٰ والحق.

(١) ينظر/ التحرير والتنوير/ ١/ ٣٥٩، ٣٦٠.

والموقع الثاني: في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة البقرة:٢٩].

جاءت الآية في سياق الرد علىٰ مثيري الفتنة والشغب من أمثلة القرآن الكريم، كدليل علىٰ عظمة الله الخالق العظيم، فما وراء البعوضة من قدرة، هي القدرة ذاتها التي وراء خلق ما في الأرض وخلق السموات السبع.

وأعقبت استنكار كفرهم بالله جل جلاله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة البقرة:٢٨]، **لتفيد امتنانه تعالىٰ عليهم بخلق ما في الأرض جميعا، ولا تتوقف دلالة (لكم) عند مجرد الامتنان فحسب، و(لكنها-إلىٰ ذلك-سيادتهم علىٰ ما في الأرض جميعا، ومنحهم قيمة أعلىٰ من قيم الماديات التي تحويها الأرض جميعا. هي نعمة الاستخلاف والتكريم فوق نعمة الملك والانتفاع العظيم)[(١)]، وبهذا تنكسر حمية الكفر وعصبية الضلال في نفوسهم، وتظهرهم في صورة قبيحة مشينة، حيث إنهم يقابلون إنعامه الكريم بالكفر والضلال المبين.**

بلاغة البدل (سبع سموات) ودوره في تماسك النظم:

ذكر أبو حيان الأوجه الإعرابية في (سبع سموات) وكانت كالتالي: (بدل من الضمير العائد علىٰ ما قبله/ مفعول به، ويكون التقدير: فسوىٰ منهن سبع سموات، ورفض هذا الوجه/ مفعول ثانٍ لسوَّىٰ، ورفضه أيضا/ حال منصوبة) واختار من بينها النصب بدلا علىٰ اعتبار عود الضمير (هن) علىٰ السماء[(٢)] والتي قصد بها الجنس.

---

(١) في ظلال القرآن/ ١/ ٥٤.

(٢) البحر المحيط/ ١/ ٢١٨، ٢٠١٩.

ثم جاء البدل ليوضح عددها الذي خلقها الله سبحانه عليه، بأنها سبع. ولم يشر الطاهر بن عاشور إلىٰ إعراب سبع سموات، وحديثه عن تحديد عدد السموات بالسبع يرجح اتفاقه مع اختيار البدلية علىٰ ما ذهب إليه أبو حيان.(١) وهو اختيار جمهرة من أهل العلم سلفا وخلفا.(٢)

وسر البدل البلاغي في الآية الكريمة ما يقوم به من مهمة توضيح معنىٰ الضمير الذي يثير ذهن المتلقي لمعرفة المزيد عنه، فيأتي البدل (سبع سموات) ليكشف عن سعة العظمة والقدرة، وأن هذه النعمة الجليلة من آثار هذه القدرة، وهو ما يعين علىٰ اتباع الحق وشكر المنعم جل جلاله، وهذه العلاقة بين البدل والمبدل منه تزيد تواصل معنىٰ الجملة، وسيرها في سياق واحد متماسك الأطراف، فلو غاب المبدل منه ضاعت نكتة الإبهام الملفتة للنظر، المثيرة للذهن، وإذا فقد البدل ضاعت نكتة توضيح الضمير بما هو دال علىٰ كمال الخالق وطلاقة مشيئته وسعة قدرته وعظمته، ومقام الرد علىٰ مثيري الفتنة والشغب علىٰ أمثلة القرآن الكريم يقتضي البيان عن جلال الله الخالق العظيم، فمن ضرب المثل بالبعوضة خلق سبع سموات، وهي أكبر من خلق الناس، وبمثل هذا يضع المتلقي يده علىٰ تمكن البدل، واستدعاء المقام له.

---

(١) التحرير والتنوير/ ١/ ٣٦٥ وما بعدها.

(٢) ينظر/ المحرر الوجيز/ ابن عطية/ ١/ ٢١٥، والتبيان في إعراب القرآن/ ١/ ٤٥، وإرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم/ ١/ ٧٨، وروح المعاني/ ١/ ٢١٩، وإعراب القرآن الكريم/ ١/ ٣٨.

البدل في سياق قصة آدم عليه السلام:

في سياق قصة آدم -عليه السلام- أتىٰ البدل في موقع واحد هو قوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾ [سورة البقرة:٣٢].

تأتي هذه الآية الكريمة في محاورة بين الله جل جلاله والملائكة حول خلق آدم عليه السلام، وهي تظهر تنزيه الملائكة لله تعالىٰ وتقديسه وإقرارهم بالعجز أمام علم الله الذي لا يحاط بعلمه، فلا يعلم من علمه شيء إلا ما يشاء ويأذن به.

ومن مقاصد الآية الكريمة توجيه المتلقين إلىٰ الإيمان بالغيب والخضوع له، ففي خلق آدم أسرار، والجنة التي هبط منها أسرار لا يملك أحد كشفها، وتكررت مثل هذه الأسرار في سياقات قرآنية عديدة، كما في قصة أصحاب الكهف وقصة موسىٰ والعبد الصالح وقصة ذي القرنين في سورة الكهف، ليكون الإيمان بمثل هذه الغيبيات سبيلا لليقين الكامل والإيمان الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

بلاغة البدل (ما) ودوره في تماسك النظم:

يرىٰ أبوحيان أن ما موصولة، وفي إعرابها وجهان محتملان:

- أن تكون في موضع نصب علىٰ الاستثناء.
- أن تكون في موضع رفع علىٰ البدل.

والأولىٰ عنده الرفع علىٰ البدل(١)، وعلم بمعنىٰ معلوم كما يقول العكبري في تبيانه: (عِلْمٌ بِمَعْنَىٰ مَعْلُومٍ أَيْ لَا مَعْلُومَ لَنَا إِلَّا الَّذِي عَلَّمْتَنَاهُ)(٢) ومجمل المعنىٰ عنده: تنزيه الله تعالىٰ وحسن التأدب والاستسلام التام له(١).

---

(١) البحر المحيط/ ١/ ٢٣٨.

(٢) التبيان في إعراب القرآن/ ١/ ٤٩/ عيسىٰ البابي الحلبي/ ١٩٧٦م.

ولم يتناول الطاهر ابن عاشور البدل في الآية الكريمة صراحة(٢)، ولو كان له رأي خلاف ما ارتضاه أبو حيان لذكره، إذ لا تخطيء عين اطلاعه علىٰ تفسيره وتأثره به كثيرا، وانشغل بالتحليل البياني، حيث يرىٰ أن جملة (لا علم لنا إلا ما علمتنا) خبر خرج علىٰ خلاف مقتضىٰ ظاهره وهو الإخبار عن حالهم، لعلمهم أن الله بحالهم عليم، وإنما قصد به الاعتراف بالعجز، والإقرار بسعة علمه تعالىٰ ومحدودية علمهم، ووقوفهم عن ما علمهم إياه(٣).

وما موصولة عند الجمهور ومرفوعة علىٰ البدلية(٤)، ووظيفة تركيب البدل البلاغية في موقعه هي دوره في توضيح هذا العجز- وإبراز هذه المحدودية، وربط الأسلوب، من خلال كون (ما) مرتبطا بالمبدل منه، ثم إن (ما) اسم موصول فيه إبهام يزول بصلته (علمتنا) فربط ما بعده بما قبله، وبلاغته في توجيه الأنظار إلىٰ جملة الصلة التي تربط المتلقين بالخالق الواسع العلم الذي لا غنىٰ لهم عن فضله.

ولم يكن البدل وحده من وسائل تماسك النظم، وإنما ربط ب (إن) أيضا فيما ختم به نظم الآية: (إنك أنت العليم الحكيم) تعليلا لقوله: (لا علم لنا إلا ما علمتنا) فهي وسيلة الربط بين الجملتين، يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني عن ربط الكلام وسبكه وتواصله مع دخول (إن): (أنك ترىٰ الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها

---

(١) ينظر/ البحر المحيط/ ١/ ٢٣٨.

(٢) ينظر/ التحرير والتنوير/ ١/ ٤١٣ وما بعدها.

(٣) ينظر/ التحرير والتنوير/ ١/ ٤١٤.

(٤) ينظر/ المحرر الوجيز/ ١/ ١٣١، ١٣٢، والتبيان في إعراب القرآن/ ١/ ٤٩، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل/ النسفي/ ١/ ٧٩، وروح المعاني/ ١/ ٢٢٨، والجدول/ ١/ ٩٨، وإعراب القرآن الكريم/ ١/ ٤٠.

وتأتلف معه وتتحد به، حتىٰ كأن الكلامين قد أفرغا إفراغا واحدا، وكأن أحدهما قد سبك في الآخر)[١]، ومن ثم فهي تغني عن الفاء في الربط بين الكلام. وأضحت مع البدل من أقوىٰ وسائل تماسك نص الآية وترابط مكوناتها.

ويلحظ في حديث الإمام هذه الكلمات: (ترتبط/ تأتلف/ تتحد/ أفرغ إفراغا واحدا/ سبك) وهي ما تدور حوله النظرية النصية الحديثة، مما يبرز وعي التراث العربي علىٰ وجه العموم، والتراث البلاغي علىٰ وجه الخصوص بقضية ربط النص وتماسكه، ووسائله التي توقف أهل العلم عندها، وبينوا دورها في هذا الترابط، كما أن رؤية الإمام لم تتوقف عند الجملة، وإنما بين دور الترابط بين الجملة وما قبلها، حتىٰ يصبح الكلامين كلاما واحدا. ومن الخطأ العلمي بل من الجرائم العلمية والخلقية أن نتناولها كنظرية غربية نبحث عن ظلال لها في تراثنا المجيد، وإنما الواجب أن نتناولها كجزء من النظرية البلاغية الشاملة، ثم نقارن بينها وبين ما تناولته النصية الغربية. فنكون بذلك أدق علميا، وأصدق قيلا، ونحفظ لتراثنا مكانته، ونعتز به.

ولاصطفاء التعبير بالفعل (سوَّىٰ) دون خلق مثلا، لما في (سوَّىٰ) من زيادة الدلالة علىٰ استقامة خلقها يقول الطاهر بن عاشور: (سواهن أي خلقهن في استقامة، واستقامة الخلق هي انتظامه علىٰ وجه لا خلل فيه ولا ثلم)[٢] وهو معنىٰ لا غنىٰ عنه في اكتمال المعنىٰ المتجه إلىٰ بيان العظمة وسعة القدرة، وزاد المعنىٰ ألقا في نفوس المتلقين مجيء الجناس المحرف بين (استوىٰ) و(سوَّىٰ) وسره البلاغي في لفت العقل وشحذه لإدراك ما بين الكلمتين من صلة، فيجد اختلاف المعنىٰ مع ما يبدو من تقاربهما لفظا، وهذه العملية العقلية تؤكد المعنىٰ في النفس مع التنغيم المحبب إليها.

---

(١) دلائل الإعجاز/ ٣١٦/ ت/ محمود شاكر/ دار المدني.

(٢) التحرير والتنوير/ ١/ ٣٨٥.

البدل في سياق خطاب بني إسرائيل وتذكيرهم بنعمته تعالى عليهم:

في هذا السياق نجد البدل في موقعين، الأول: قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ [سورة البقرة:٤٨].

في سياق خطاب بني إسرائيل وتذكيرهم بنعمته تعالىٰ عليهم، وتفضيلهم علىٰ العالمين قبل تمردهم وعصيانهم، جاءت هذه الآية الكريمة لتخويفهم من هذا اليوم العظيم الذي يتحمل كل إنسان تبعته، ولا تغني نفس عن نفس شيئا، ولا فدية يومئذ ولا ناصر ينجي من لم يؤمن ويعمل صالحا من عذاب الله جل جلاله.

وعلاقة التناسب بين الآية وسياقها جلية وقوية، يقول أبو حيان: (وكأنهم لما أمروا بذكر النعم وتفضيلهم ناسب أن من أنعم عليه وتفضل يكون محصلا للتقوىٰ. فأمروا بالإدامة علىٰ التقوىٰ، أو بتحصيل التقوىٰ إن عرض لهم خلل)[1]، وبعده واصل السياق تعديد نعمه تعالىٰ عليهم، وبيان ما آلت إليه مواقفهم من النعم من جحد وكفر وضلال. وبذلك تكون الآية ذات اعتلاق بما قبلها وبما بعدها.

بلاغة البدل (يوما) ودوره في تماسك النظم:

نقل أبو حيان الخلاف في إعراب (لا تجزىٰ) علىٰ قولين:

الأول: أنها صفة ليوم والرابط محذوف، واختلف في تقديره علىٰ ثلاثة أقوال:

- الرابط محذوف، تقديره (تجزي فيه) ثم حذف حرف الجر، واتصل الضمير بالفعل، ثم حذف الضمير، وهذا التدرج اختيار أبي علي، وهو اختيار أبي حيان.
- الرابط محذوف تقديره (تجزي فيه) أو (تجزيه) وهما جائزان عند سيبويه والأخفش والزجاج.

(١) التحرير والتنوير/ ١/ ٣٠٦.

- الرابط محذوف، ولا يكون إلا الهاء أي: تجزيه، وهو قول الكسائي.

الثاني: وهو قول الكوفيين بأن ثمة رابطا، ولا تكون الجملة صفة، بل يضاف إليها يوم محذوف لدلالة ما قبله عليه، والتقدير: واتقوا يوما يوم لا تجزئ، ويكون إعراب (يوم) المحذوف بدلا من (يوما)، بدل كل من كل.(١)

واختار الطاهر بن عاشور إعراب الجملة صفة ل (يوما) وتقدير الرابط (فيه)(٢)، وهو اختيار عدد من النحويين.(٣)

والذي أميل إليه إعرابها مضافا إليها (يوم) محذوف، وهو بدل من يوم المذكور، لورود مثله في كلام العرب، ويحسن تخريج الكوفيين للحذف في الآية للأسباب الآتية:

- لكون المضاف إليه جملة، فلا يظهر فيها إعراب، فيتنافر مع إعراب ما قبله، وقد أجازوه مع التنافر في نثرهم، فلأن يجوز مع عدم التنافر أولى(٤).
- لتكرار الحذف في الجمل التالية في الآية: (ولا يقبل منها شفاعة) و(لا يؤخذ منها عدل) و(لا هم ينصرون) وعلى تخريج الكوفيين لا حاجة إلى هذه الروابط(٥).

وإعراب (يوم) المحذوف بدلا من (يوما) يؤدي بصورته التركيبية إلى زيادة توضيح المعنى وإظهاره، ف(يوما) فيه إبهام يدعو إلى التدبر والتأمل وانتظار ما يزيل هذا الإبهام، والمقام جد خطير، مقام الحديث عن يوم القيامة بما فيه من مواقف

(١) ينظر/ البحر المحيط/ ١/ ٣٠٧.

(٢) التحرير والتنوير/ ١/ ٤٨٤، ٤٨٥.

(٣) ينظر/ معاني القرآن وإعرابه/ ١٢٨، ١٢٩، والجدول في إعراب القرآن/ ١/ ١٢٨.

(٤) البحر المحيط/ ١/ ٣٠٧.

(٥) البحر المحيط/ ١/ ٣٠٨.

وأحداث وأهوال، وفي مثل هذا المقام تكون الحاجة آكد وأشد لإزالة هذا الإبهام، فيأتي البدل ب(يوم) المحذوف ليكشف عن المراد بما يكون في هذا اليوم، وهو ما تتكفل ببيانه الجملة المضافة للبدل (لا تجزي نفس عن نفس شيئا...) وهذا البيان الذي هو الوظيفة البلاغية الأولىٰ للبدل يساعد علىٰ تحقيق التقوىٰ التي أمر بها بداية نظم الآية، كما تحققت الوظيفة البلاغية الثانية للبدل وهي دوره البارز في تلاحم نظم الآية وتماسكه، للعلاقة بين البدل والمبدل منه، وهي علاقة التابع بالمتبوع، ومن خلال ربطه بين ما قبله (المبدل منه) وما بعده جملة (لا تجزي نفس ....) وهذا الدور الذي قام به البدل في نظم الآية شكلا ومضمونا لا يترك إلا لعلة أعلىٰ، ونكتة أبلغ، وهو ما تفتقده الوجوه الإعرابية الأخرىٰ.

وإذا كان السياق موجها إلىٰ بني إسرائيل إلا أن البيان الكريم يعلم المتلقي كيف تكون الطاقة البيانية التي تنشر الخير وتحققه في نفوس المتلقين، لكي تكون الخيرية البيانية متسقة مع سعة خيرية الدعوة وشمولها، فاختير التعبير ب(نفس) نكرة وتكرارها في سياق النفي للدلالة علىٰ العموم، ليكون بذلك التحذير موجها إلىٰ الجميع بأنه (لَا يُغني أحد كَائِنًا مَنْ كَانَ فَلَا تُغْنِي عَنِ الْكُفَّارِ آلِهَتُهُمْ وَلَا صُلَحَاؤُهُمْ عَلَىٰ اخْتِلَافِ عَقَائِدِهِمْ فِي غَنَاءِ أُولَئِكَ عَنْهُمْ)[1]، وأكدت هذا المعنىٰ الجملة التي ختم بها نظم الآية (وهم لا ينصرون) فهي اسمية بعد جمل فعلية، لكي تقرر أنهم غير منصورين دائما، وغير ناجين، وغير منقذين، وما تحصلوا عليه من بعض النجاحات لن تحقق لهم يوم القيامة نصرا ولا تأييدا.

(١) التحرير والتنوير/ ١/ ٤٨٥.

والموقع الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة البقرة:٦٢].

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق التذكير بنعمه تعالىٰ علىٰ بني إسرائيل، ووجه ارتباطها بالسياق ومناسبتها له، أنه بعد تناول السياق لموقفهم من نعم الله تعالىٰ من الجحود والكفر، فاستحقوا أن تضرب عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله، جاءت هذه الآية لتفتح لهم باب الأمل وترشدهم إلىٰ طريق الخلاص، وهو طريق الإيمان والعمل الصالح، وللتأكيد علىٰ أن كل أحد مجزي بعمله، وقد ذكرت معهم أمم أخرىٰ تأنيسا وتبشيرا(١).

ومع عظائم جرائمهم كانوا يدعون بأنهم المهتدون وأنهم شعب الله المختار، فجاءت هذه الآية تكذيبا لدعواهم، وتقريرا لوحدة العقيدة التي ينبثق منها عمل صالح يتوجه به إلىٰ الله الخالق العظيم، وأن هذا فضل الله الممنوح لجميع المؤمنين في كل زمان ومكان، وأن لهم بذلك أجرا بلا خوف وبلا حزن (٢). والآية بهذا ترتبط بالسياق القريب وبالسياق الأوسع الذي يشمل مخازيهم وجرائمهم وضلالاتهم العديدة.

بلاغة البدل (من) ودوره في تماسك النظم:

تناول كثير من المهتمين بالإعراب من النحاة والمفسرين إعراب (من)(٣) – ومنهم أبوحيان– موصولة بدلا من اسم (إن) وما بعده، وعلىٰ احتمال كونها شرطية

---

(١) ينظر/ البحر المحيط/ ١/ ٣٨٩، والتحرير والتنوير/ ١/ ٥٣١.

(٢) ينظر/ التحرير والتنوير/ ١/ ٧٥.

(٣) ينظر/ الكشاف/ ١/ ١٤٦، والمحرر الوجيز/ ١/ ١٥٨، والدر المصون/ ١/ ٤٠٤، وإعراب القرآن وبيانه/ ١/ ١١٥.

تعرب مبتدأ، واعترض علىٰ ذلك بأن الإيمانين علىٰ تقدير التغاير، واختار أن تكون بدلا من المعاطيف التي بعد اسم (إن) وبذلك يكون المعنىٰ صوابا، (وكأنه قيل: إن الذين آمنوا من غير الأصناف الثلاثة، ومن آمن من الأصناف الثلاثة، فلهم أجرهم)(١)، حرر أبو حيان أثر البدل في توضيح معنىٰ الجملة وإبرازه في صورة واضحة بعد الإبهام الذي تجلىٰ من مجيء جملة إن والمعاطيف بعد اسمها، ثم جاء البدل (من) ليظهر المعنىٰ، ويوضح المبدل منه.

ولم يبتعد الطاهر بن عاشور عن إعراب أبي حيان، فذكر أن (من) شرطية في موضع المبتدأ، ويكون (المعنىٰ إن الذين آمنوا من يؤمن بالله منهم فله أجره)(٢)، أو تعرب موصولة بدلا من اسم (إن) ويتأثر المعنىٰ بالبدل، (ويكون معنىٰ الآية ...استثناء صالحي بني إسرائيل من الحكم، بضرب الذلة والمسكنة والغضب من الله ويكون ذكر بقية صالحي الأمم معهم علىٰ هذا إشارة إلىٰ أن هذه سنة الله في معاملته خلقه ومجازاته كلا علىٰ فعله)(٣)

وجلي اتباع الطاهر ابن عاشور أبا حيان في إعرابه، إلا أن حاسة أبي حيان النحوية تتتبع الوجوه الإعرابية الممكنة ومناقشتها، كما هو ظاهر فيما سبق ذكره من تغاير الإيمانين في الآية، ومن ثم اختار الوجه الذي يراه أصوب وأدق، بينما تغلب الوجوه البيانية علىٰ تفسير الطاهر بن عاشور، ويكتفي من وجوه الإعراب بما يرىٰ من ورائه سرا بيانيا، واتساقا للمعنىٰ.

---

(١) البحر المحيط/ ١/ ٣٩٠، ٣٩١.

(٢) التحرير والتنوير/ ١/ ٥٣٨.

(٣) السابق/ ١/ ٥٣٨، ٥٣٩.

ولا تخفىٰ القيمة البلاغية التي أحدثها تركيب البدل في نظم هذه الآية الكريمة، حيث يسهم في توجيه المعنىٰ وتماسك النظم وترابطه، وذلك من خلال توضيح المبدل منه، مما يقوي ارتباط التابع والمتبوع، فالمتبوع (الذين) وما بعده صلة مرتبطة به، أو بدل من كل ما فصل بعد (إن) فيفيد البدل من هذا الوجه الإجمال بعد التفصيل، ووجهه البلاغي التوضيح والتأكيد، والتواصل بما قبلها وبما بعدها بجملة الصلة، وتأكيد أن الثبات علىٰ الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح يؤدي إلىٰ نيل الجزاء الذي حددته الآية الكريمة ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة البقرة:٦٢].

البدل في سياق ذكر مخازي بني إسرائيل ومساوئ مواقفهم:

كشف البيان الكريم العديد من مساوئ بني إسرائيل ومخازيهم، لتتجنب النفوس المؤمنة تلك المساوئ وتتفادىٰ دواعيها، وكان للبدل في هذا السياق حضور في موقع واحد في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة البقرة:١٠٢].

لهذه الآية في هذا السياق دور عليٌّ في إبراز اعوجاجهم الخبيث بترك ما أنزل الله مصدقا لما معهم، وتتبعهم ما يقصه الشياطين من عهد سيدنا سليمان عليه السلام، ويرىٰ أبوحيان أنها ترتبط بسياقها من خلال عطفها (عَلىٰ جَمِيعِ الجُمْلَةِ السّابِقَةِ مِن

قَوْلِهِ: ولَمّا جاءَهم إلىٰ آخِرِها، وهو إخْبارٌ عَنْ حالِهِمْ في اتِّباعِهِمْ ما لا يَنْبَغِي أنْ يُتَّبَعَ، وهَذا هو الظّاهِرُ، لا أنَّها مَعْطُوفَةٌ عَلىٰ قَوْلِهِ: نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنهم؛ لِأنَّ الِاتِّباعَ لَيْسَ مُتَرَتِّبًا عَلىٰ مَجِيءِ الرَّسُولِ، لِأنَّهم كانُوا مُتَّبِعِينَ ذَلِكَ قَبْلَ مَجِيءِ الرَّسُولِ، بِخِلافِ نَبْذِ كِتابِ اللهِ، فَإنَّهُ مُتَرَتِّبٌ عَلىٰ مَجِيءِ الرَّسُولِ)[1]، وهو تعليل ناظر إلىٰ واقعهم التاريخي ومواقفهم الممتدة في تاريخ البشرية.

بينما يرىٰ الطاهر بن عاشور أنها معطوفة علىٰ الشرط وجوابه في قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [سورة البقرة:١٠١].، من باب ذكر خصلة سيئة بعد أخرىٰ فإذا كان المراد بكتاب الله القرآن فيكون المعنىٰ أنهم لما جاءهم رسول الله مصدقًا لما معهم نبذوا كتابه بحجة تمسكهم بالتوراة وقد خالفوها باتباع ما تتلو الشياطين، وإن كان المراد بكتاب الله التوراة فالمعنىٰ لما جاءهم رسول الله نبذوا ما في التوراة من دلائل صدق هذا الرسول وهم مع ذلك قد نبذوها من قبل باتباعهم ما تتلوا الشياطين[2]. وهذا تماه مع اختيار أبي حيان.

بلاغة البدل (هاروت وماروت) ودوره في تماسك النظم:

ذكر أبو حيان الأوجه الإعرابية للبدل (هاروت وماروت) علىٰ النحو الآتي:

١- إذا قرئ بفتح لام الملكين، فيعربان: بدلا من الملكين، وهما اسمان لهما، والفتحة نائبة عن الكسرة؛ لكونهما ممنوعين من الصرف. أو بدلا من الناس، وفتحة التاء علامة النصب، وليسا اسمين للملكين. أو بدلا من الشياطين، فمن نصب

(١) البحر المحيط/ ١/ ٥٢٣.

(٢) التحرير والتنوير/ ١/ ٦٢٧.

الشياطين تكون الفتحة علامة النصب، ومن رفع الشياطين فيكون النصب علىٰ الذم، أي: أذم هاتين القبيلتين.

٢- إذا قرئ بكسر اللام، فيعربان: بدلا من الملكين. أو متعلقي الشياطين، ولا يعربان بدلا، إذا فسرا بداود وسليمان عليهما السلام.

٣- إذا قرئا برفع التاء، فيجوز أن يعربا: خبرا لمبتدأ محذوف تقديره: هما. أو بدلا من الشياطين الأول أو الثاني في الآية، إن كانا شيطانين(١).

وأما الطاهر بن عاشور فلم يطل الحديث في ذكر أوجه الإعراب في الآية، فضعف إعرابهما بدلا من الشياطين، من إطلاق الجمع علىٰ المثنىٰ، والمراد شيطانان (هاروت وماروت) وضعا السحر للناس، وعلة تخطئة هذا الوجه الإعرابي كون (علىٰ الملكين) حشوا، ولا يخفىٰ وجاهة هذا الرأي، حيث لا يؤثر وجودهما في المعنىٰ، ولا يكون ذلك في الكلام البليغ، فكيف يقع في البيان القرآني الكريم؟

واختار إعرابهما بدلا من (الملكين) وهما اسمان كلدانيان دخلهما تغيير التعريف لإجرائهما علىٰ خفة الأوزان العربية.(٢) وهو بهذا يقتفي الوجه الأول الذي ذكره أبو حيان، وهو قول جماعة من المفسرين والمعربين.(٣)

يتضح لنا أن التركيب المشتمل علىٰ البدل في هذه الآية من أظهر الشواهد الدالة علىٰ العلاقة القوية المؤثرة بين الإعراب والمعنىٰ، والذي عليه أكثر النحويين

---

(١) البحر المحيط/ ١/ ٥٢٨ وما بعدها.

(٢) التحرير والتنوير/ ١/ ٦٤٠ وما بعدها.

(٣) ينظر/ المحرر الوجيز/ ١/ ١٨٧، والتبيان في إعراب القرآن/ ١/ ٩٩، والدول/ ١/ ٢١٥، وإعراب القرآن للدرويش/ ١/ ١٥٨، وإعراب القرآن الكريم/ ١/ ٤٨.

والمفسرين أنهما بدل من (المَلَكَيْنِ)(١)، حيث يتجلىٰ إبداع بلاغة اللغة العربية في قدرتها علىٰ توضيح المعنىٰ وتأكيده، من خلال البدل، فالملكان مبدل منه معرف ب(ال) زيد بيانا في هذا السياق المتعلق بتأكيد اتباعهم طريق السحر وخطره بالبدل (هاروت) وهو علم عطف عليه علم آخر (ماروت)، سواء دل العلمان علىٰ شخصين أو قبيلتين، حيث وضح البدل نوع هذا السحر الذي أنزل علىٰ هذين الملكين المعنيين، وهو أخطر أنواع السحر الذي كان منتشرا في هذا الوقت(٢)، وما يتبع ذلك من ترابط السياق وتلاحمه وإثرائه للمعنىٰ، من خلال توضيح السابق (المبدل منه) وتعلق ما بعده به، فالضمير في (وما يعلمان من أحد....) يعود علىٰ الملكين (المبدل منه) وقيل يعود علىٰ هاروت وماروت (البدل)(٣).

البدل في سياق تحويل القبلة:

في هذا السياق الكريم أتىٰ البدل في ثلاثة مواقع: اثنان منها في قوله تعالىٰ:﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧﴾ [سورة البقرة:١٤٦-١٤٧].

وردت الآيتان في سياق حديث السورة عن موضوع تحويل القبلة من المسجد الأقصىٰ إلىٰ المسجد الحرام، لتأكيد علم اليهود بصدق الرسول-صلىٰ الله عليه

(١) ينظر/ التبيان في إعراب القرآن/ ١/ ٩٩، وتفسير مبهمات القرآن/ أبو عبد الله محمد بن علي البلنسي/ ١/ ١٦٨/ ت/ الدكتور حنيف بن حسن القاسمي/ دار الغرب الإسلامي- بيروت – لبنان/ ط١- ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، والجدول/ ١/ ١٠٢، وإعراب القرآن وبيانه/ ١/ ١٥٨.

(٢) ينظر/ إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم/ ١/ ١٣٨.

(٣) ينظر/ البحر المحيط/ ١/ ٥٢٩.

وسلم- وبحقيقة ما جاء به، ولبيان أن طعنهم فىٰ القبلة وتشكيكهم فيها ما هو إلا صورة من صور طعنهم فىٰ الرسول-صلىٰ الله عليه وسلم- وفىٰ رسالته، علىٰ الرغم من إعلامهم ببعثه فىٰ كتبهم، فمناط القصد في الآية إثبات علم اليهود وتأكدهم من شخص النبي صلىٰ الله عليه وسلم.(١)، وأن الحق هو ما يوحىٰ إليه من ربه، لا ما يقوله اليهود والنصارىٰ.

بلاغة البدل (الذين/ الحق) ودوره في تماسك النظم:

اختار أبو حيان أن يكون (الذين) مبتدأ خبره (يعرفونه) وتكون الآية مستقلة في سياقها(٢)عن تحويل القبلة، لتظهر قبح اليهود فلم يكن موقفهم من الاعتراض والتشكيك في تحويل القبلة هو الموقف الوحيد للنيل من الإسلام والمسلمين، وإنما هو صورة من تشكيكهم في رسالة النبي-صلىٰ الله عليه وسلم-وهم الذين يعرفونه معرفتهم بأبنائهم.

ثم ذكر أن البعض جوز أن يكون الاسم الموصول (مَجْرُورًا عَلىٰ أَنَّهُ صِفَةٌ لِلظّالِمِينَ، أوْ عَلىٰ أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الظّالِمِينَ، أوْ عَلىٰ أَنَّهُ بَدَلٌ مِن ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [سورة البقرة:١٤٥]. في الآيَةِ الَّتِي قَبْلَها، ومَرْفُوعًا عَلىٰ أَنَّهُ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أيْ هُمُ الَّذِينَ، ومَنصُوبًا عَلىٰ إضْمارِ، أعْنِي: وعَلىٰ هَذِهِ الأعارِيبِ يَكُونُ قَوْلُهُ: (يَعْرِفُونَهُ)، جُمْلَةً في مَوْضِعِ الحالِ، إمّا مِنَ المَفْعُولِ الأوَّلِ في آتَيْناهم، أوْ مِنَ الثّانِي الَّذِي هو الكِتابُ؛ لِأنَّ في يَعْرِفُونَهُ ضَمِيرَيْنِ يَعُودانِ عَلَيْهِما)(٣).

---

(١) تكريم الرسول وتوقيره في القرآن الكريم/ د/ صبحي عفيفي/ ١٨/ رسالة دكتوراه/ كلية اللغة العربية بالمنوفية-جامعة الأزهر.

(٢) البحر المحيط/ ٢/ ٣٢.

(٣) البحر المحيط/ ٢/ ٣٢.

ولم يتناول الطاهر بن عاشور إعراب الاسم الموصول (الذين) ويفهم من كلامه أنه في محل رفع مبتدأ حيث يرىٰ أن الآية اعتراض بين قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [سورة البقرة:١٤٥]. وبين قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾ [سورة البقرة:١٤٨]. والذي حمله علىٰ القول بأنها اعتراض أنها جاءت في سياق الحديث عن تحويل القبلة واعتراض اليهود علىٰ ذلك، وللاعتراض المبني علىٰ الجملة الاسمية المبدوءة بالموصول دور بارز في المعنىٰ، بأن (طعنهم في القبلة الإسلامية ما هو إلا من مجموع طعنهم في الإسلام وفي النبي صلىٰ الله عليه وسلم)(١)، وهذه زيادة بيان وتوضيح عما ذكره أبو حيان، وهي زيادة مطلوبة لتناسب حال قارئي تفسيره، فمن كان تكفيه الإشارة، أصبح في عصرنا يحتاج إلىٰ عبارة تكشف له الأسباب، وتوضح له المراد.

ويبدو لي أن اختيار البدل- وقد جوزه جماعة من أهل العلم(٢)- أولىٰ لما يضيفه إلىٰ السياق من بلاغة اتصال بعضه ببعض، وإلىٰ النظم من تلاحم وتشابك، فالتابع يتبع متبوعه، ويتصل به، ويكشف عن مبهمه في البدل. ف(الذين أوتوا الكتاب) فيما سبق، اتضح مصدر النعمة التي أكرموا بها (أنهم من أهل الكتاب) في هذه الآية بالبدل: (الذين آتيناهم الكتاب) فالله الكريم تجلىٰ عليهم بهذه النعمة، وكان حقه

(١) التحرير والتنوير/ ٢/ ٣٩.

(٢) ينظر/ التبيان في إعراب القرآن/ ١/ ١٢٦، وروح المعاني/ ١/ ٤١١.

عليهم التصديق والاستسلام، ولكنهم مع معرفتهم به –صلىٰ الله عليه وسلم– ينكرون الحق، مما يرسم لهم صورة قبيحة في أذهان المتلقين؛ لكي لا يقعون في مثل ما وقعوا فيه.

وهذا التواصل السياقي من خلال بلاغة موقع البدل يجعل للآية الكريمة وظيفة جلية في كشف دور اليهود الذين يستغلون الأحداث لبث سمومهم، مما يجعلهم جزءا من الأحداث، وأن أكثر ما ينشطون فيه، في المواقف التي تكشف القلوب المنافقة، وهذا ما أشار إليه قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة البقرة:١٤]. فهم شياطين المنافقين، وهي صفة مبينة عن تسيدهم المواقف الكاشفة.

وأما البدل (الحق):

فقد ذكر أبو حيان الأوجه الإعرابية لكلمة الحق في قوله تعالىٰ: (الحق من ربك) علىٰ النحو التالي:

١- رفع الحق علىٰ قراءة الجمهور، حينئذ تكون الجملة: مبتدأ، وخبره (من ربك). أو خبرا حذف مبتدأه، والتقدير: هو الحق من ربك. أو مبتدأ خبره محذوف، تقديره: الحق من ربك يعرفونه. وقد استبعده.

٢- نصب الحق علىٰ قراءة علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- حينئذ يكون لها وجهان:

- بدل من الحق المكتوب في الآية السابقة، والتقدير: يكتمون الحق من ربك. ذكره الزمخشري(١).

(١) الكشاف/ ٢/ ٣٤، وينظر/ روح المعاني/ ١/ ٤١٢.

• معمول ليعلمون، أو منصوب بفعل محذوف تقديره: الزم الحق من ربك. ذكره ابن عطية(١).

واختار الطاهر بن عاشور إعراب (الحق) خبرا لمبتدأ محذوف تقديره: هذا الحق، ومن ثم يفيد قصر القلب، أي لا ما يظهرونه من التكذيب، وإظهار أن ذلك مخالف للحق، ووجه ارتباط الآية بما قبلها، كونها تذييل لما ختمت به السابقة، وهو قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [سورة البقرة:١٤٦](٢).

وهذا ما أجدني أتفاعل معه، لكونه جاريا علىٰ قراءة الجمهور، ولابتعاد جمهرة العلماء عن إعرابه بدلا، كالواحدي، والزمخشري، وابن عطية، والعكبري، والنسفي، وأبو السعود، والألوسي، وغيرهم.(٣)، ولما للتذييل من فوائد بلاغية نابعة هنا من تكرار كلمة (الحق) وهو يفيد مع تواصل المعنىٰ التأكيد بالتركيز علىٰ كلمة (الحق) وتسليط الضوء عليها في سياق الآيتين باعتبارها موضع الاهتمام والارتكاز فيهما(٤).

والموقع الثالث في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ

(١) البحر المحيط/ ٢/ ٣٤، ٣٥.

(٢) التحرير والتنوير/ ٢/ ٤١.

(٣) ينظر/ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ ١/ ١٣٨، والكشاف/ ١/ ٢٠٤، والمحرر الوجيز/ ١/ ٢٢٤، والتبيان في إعراب القرآن/ ١/ ١٢٦، ومدارك التنزيل/ ١/ ١٤١، وإرشاد العقل السليم/ ١/ ١٧٦، وروح المعاني/ ١/ ٤١٢، وإعراب القرآن الكريم/ ١/ ١١٨.

(٤) ينظر/ التذييل في القرآن الكريم-دراسة بلاغية- سورة البقرة أنموذجا/ بحث ماجستير/ للطالبة/ فاطمة الزهراء معزوز/ ١٨٥/ قسم اللغة والأدب العربي/ كلية الآداب واللغات/ أكلي مهند ألحاج-الجزائر عام ٢٠١٢-٢٠١٣م

ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ [سورة البقرة: ١٥٠].

في سياق الحديث عن القبلة جاءت هذه الآية لتأكيد الأمر بتوجيه النبي وجميع المسلمين بالتوجه إلىٰ المسجد الحرام من أي مكان علىٰ وجه البسيطة، والأمر في الآية هو الثالث الذي ورد في سياق الحديث عن حادثة تحويل القبلة، والتكرار من وسائل تثبيت المعاني في النفوس، والحادثة تتطلب تكرار الأمر الخاص الموجه للنبي (ولِّ وجهك) ثم علىٰ العموم (فولوا وجوهكم) حيث إن التحويل وكثرة الشائعات والشبهات المثارة من اليهود والمنافقين والمشركين يتطلب هذا التكرار ويقتضيه.

بلاغة البدل (للناس) ودوره في تماسك النظم:

تناول أبوحيان أقوال أهل العلم في (إلا) في قوله: (إلا الذين ظلموا) فالجمهور علىٰ أنها أداة استثناء، والاستثناء متصل، وبعضهم يقرؤونها بفتح الهمزة (ألا) للتنبيه والاستفتاح والذين ظلموا مبتدأ و(فلا تخشوهم واخشوني) في موضع الخبر. ويكون المعنىٰ: من يظلم من الناس، فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتهم، واخشوني: فلا تخالفوا أمري.

وعلىٰ مذهب الأخفش يجوز نصب (الذين) علىٰ باب الاشتغال، وينصبه ابن عطية بفعل مقدر علىٰ الإغراء. ويتغير الاستثناء بين الاتصال والانقطاع حسب المقصود بالحجة، فإن كانت بمعنىٰ الدليل والبرهان فالاستثناء منقطع، وإن كانت بمعنىٰ الاحتجاج والخصومة فالاستثناء متصل(١).

ثم يذكر إعراب الاسم الموصول بدلا وأثره في المعنىٰ وموقفه منه، فيقول: (وأجاز قطرب أن يكون الذين في موضع جر بدلا من ضمير الخطاب في عليكم، ويكون التقدير: لئلا تثبت حجة للناس علىٰ غير الظالمين منهم، وهم أنتم أيها المخاطبون، بتولية وجوهكم إلىٰ القبلة. ونقل السجاوندي أن قطربا قرأ: إلا علىٰ

(١) البحر المحيط/ ٢/ ٤٢.

الذين ظلموا، وهو بدل أيضا علىٰ إظهار حرف الجر، كقوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ﴾ [سورة الأعراف:٧٥]، وهذا ضعيف، لأن فيه إبدال الظاهر من ضمير الخطاب)(١)

وقد تناول الطاهر بن عاشور الاستثناء (إلا الذين ظلموا) بأنه متصل أو منقطع حسب دلالة حجة حقيقة أو مجازا، قائلا: (وإطْلاقُ اللَّفْظِ في مَعْنَيَيْهِ الحَقِيقِيِّ والمَجازِيِّ لَيْسَ بِبِدْعٍ لا سِيَّما مَعَ الإتْيانِ بِلَفْظٍ يُخالِفُ)(٢) وهو تابع فيه لأبي حيان دون أن يذكر أوجه الإعراب في الاسم الموصول. لكونه يقدم الاستثناء المتصل، فيكون الموصول مبنيا علىٰ الفتح في محل نصب علىٰ الاستثناء.

ولا مانع من اختيار إعراب الاسم الموصول بدلا رغم الخلاف بين النحويين(٣)، لكون المعنىٰ الذي أبان عنه البدل مقبول، ومعين علىٰ فهم المعنىٰ المقصود، ومن ثم لا يحوجنا إلىٰ الدخول في الاختلاف حول المقصود بالحجة، حيث أفاد البدل ثبوت الحجة علىٰ الظالمين سواء كانوا من أهل الكتاب أو من مشركي مكة(٤)، وإخراج المؤمنين المخاطبين في الآية من هذا الحكم.

---

(١) البحر المحيط/ ٤٣.

(٢) التحرير والتنوير/ ٢/ ٤٧.

(٣) ينظر/ شرح التسهيل-تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد/ جمال الدين محمد بن عبد الله الأندلسي/ ٣/ ١٩٣ وما بعدها/ ت/ محمد عبد القادر عطا، طارق فتحي السيد/ دار الكتب العلمية/ ط١/ ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

(٤) ينظر/ موسوعة التفسير المأثور/ إعداد/ مركز الدراسات والمعلومات القرآنية/ ٣/ ١٦٣، ١٦٤/ إشراف/ د. مساعد بن سليمان الطيار - د. نوح بن يحيىٰ الشهري/ مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي- دار ابن حزم - بيروت/ ط١- ١٤٣٩ - ٢٠١٧م.

البدل في سياق الحديث عن فريضة الصيام:

وأتت صورة تركيب البدل في سياق تناول فريضة الصيام في موقعين: في قوله تعالىٰ: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [سورة البقرة:١٨٤-١٨٥].

بعد الحديث عن القصاص وتشريعاته، والوصية عند الموت، وردت الآيتان في سياق الحديث عن فريضة الصيام التي بها ترود النفس البشرية، ويقوم بها سلوكها، وتقوىٰ بها العزيمة والإرادة الفاعلة في الصرف عما يدنس الإنسان، والعون علىٰ ما يزكيه ويعليه. والجامع بين التأسيس الاجتماعي في (القصاص والوصية) والتكليف التعبدي (الصيام) هو تقوىٰ الله تعالىٰ بالتعبد له بما جاء من لدنه في أمور الحياة وشئونها والعبادات وتكاليفها، وهذا من الروابط التي تؤدي إلىٰ تماسك النظم وتواصل معانيه.

بلاغة البدل (طعام/ شهر) ودوره في تماسك النظم:

ذكر أبو حيان أن قراءة الجمهور بتنوين فدية ورفع (طعام) وحينئذ يكون (طعام) بدلا يوضح المراد بالفدية، ومن لم ينون فيكون من إضافة الشيء إلىٰ جنسه، وغرضه أيضا التبيين والتوضيح، ورد القول بأنه من إضافة الموصوف إلىٰ الصفة(١).

(١) البحر المحيط/ ٢/ ١٩١.

وأما (شهر) فقد قرأ الجمهور برفع شهر، ويتوقف توجيه الإعراب علىٰ المراد ب (أياما معدودات) كما يلي:

- إذا كان المراد بها غير أيام رمضان فيعرب شهر مبتدأ وخبره (الذي أنزل فيه القرآن) وهدف الجملة التمهيد لفريضة الصيام (بذكر فضيلته، والتنبيه علىٰ أن هذا الشهر هو الذي أنزل فيه القرآن)(١) وجوزوا أن يكون الاسم الموصول صفة والخبر (فمن شهد منكم الشهر فليصمه)(٢).

- أما إذا كان المراد بها أيام رمضان، فيجوز أن يكون (شهر) خبرا لمبتدأ محذوف تقديره: (هو) أو بدلا من قوله: (الصيام) أي: كتب عليكم شهر رمضان، واستبعده أبو حيان لسببين: الأول: كثرة الفصل بين البدل والمبدل منه. الثاني: أنه بهذا يكون بدل اشتمال، وهو عكسه، لأن بدل الاشتمال في الغالب يكون بالمصادر(٣). وناقش العديد من أوجه الإعراب المختلفة التي لا يسعنا ذكرها لكثرتها، والتي رد البدل في جميعها للسببين المذكورين.

وكعادة الطاهر بن عاشور في تناوله لأوجه الإعراب لم يستغرق كثيرا في تناول البدل في الآية الكريمة، ولم يبتعد عن تناول أبي حيان في إعرابه ل(طعام) حيث ذكر أنه إما بإضافة المبيَّن إلىٰ بيانه، بإضافة فدية إلىٰ طعام، أو علىٰ الإبدال من فدية، حسب القراءتين اللتين ذكرتا سابقا(٤).

---

(١) البحر المحيط/ ٢/ ١٩٣.

(٢) البحر المحيط/ ٢/ ١٩٣.

(٣) البحر المحيط/ ٢/ ١٩٤.

(٤) التحرير والتنوير/ ٢/ ١٦٧.

وصورة البدل الأولىٰ (فدية / طعام مسكين) واضحة لا تحتاج مزيد بيان، لذلك تناولها النحويون تناولا سهلا كقولهم: (بدل مرفوع، أو بدل مطابق من فدية ومسكين مضاف إليه، أو بدل من فدية مرفوع مثله،...)(١) وتأثير بلاغة البدل في نظم الآية واضح، فكلمة (فدية) مفردة تتعدد معانيها حسب سياقها، والإبهام فيها يصل إلىٰ حد الغموض المرهق للعقل، وكانت الحاجة إلىٰ بيانه أشد، فيأتي البدل (طعام مسكين) ليبرز المراد من المبدل منه، وليذهب غموضه، وهذا من مقتضيات توضيح الحكم الشرعي، وتفسيره بدقة، فالفدية عرفت بأنها طعام، وليس شيئا غيره، وحدد الحكم بإضافة (طعام) إلىٰ (مسكين) عن كل يوم. وصورة البدل تتسق مع مقام الحديث عن فريضة من فرائض الإسلام وأركانه.

وأما (شهر) فالآية تكملة للآية السابقة، وهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هي) أي الأيام المعدودات شهر رمضان. والجملة جوابا عن سؤال السامع عن تعيين هذه الأيام، وعلىٰ قراءة مجاهد بالنصب علىٰ البدلية من أيام، بدل تفصيل(٢).

وبذلك يكون للبدل دور في توضيح المراد بالأيام وتعيينها، وتلاحم النظم، بتواصل الآيتين وترابطهما عن طريق البدل والمبدل منه. وعن طريق شبه كمال الاتصال، فالآية جواب عن سؤال أثارته الآية السابقة، ومضمونه: ما هذه الأيام، فجاءت آية (شهر رمضان....) جوابا عنه.

البدل في سياق بيان أحكام الطلاق ومعالجة قضاياه:

حضر البدل في هذا السياق في موقعين: أولهما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا

(١) ينظر/ إعراب القرآن/ ١/ ٧٦، وإعراب القرآن وبيانه/ ١/ ٢٦١، والجدول/ ١/ ٣٦٨.

(٢) التحرير والتنوير/ ٢/ ١٦٩.

يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ [سورة البقرة:٢٢٩].

في سياق الحديث عن أحكام الطلاق ومعالجة قضاياه جاءت هذه الآية الكريمة؛ لتبين أن الطلاق الذي تحصل به الرجعة مرتان، فإما إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وإذا خاف الزوجان ألا يقيما حدود الله فلا حرج فيما تدفعه المرأة للزوج مقابل الطلاق، وهذه هي حدود الله التي ينبغي عدم تجاوزها، ومن يتجاوزها فهو من الظالمين.

فعن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان الرجل إذا طلق امرأته ثم ارتجعها قبل أن تنقضي عدتها، كان ذلك له، وإن طلقها ألف مرة، فعمد رجل إلىٰ امرأة له فطلقها، ثم أمهلها حتىٰ إذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها، ثم طلقها، ثم قال: والله لا آويك إلي ولا تحلين أبدا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [سورة البقرة:٢٢٩].(١)

ومن ثم كانت المناسبة بين هذه الآية الكريمة وسابقتها ظاهرة (وهو أنه لما تضمنت الآية قبلها الطلاق الرجعي، وكانوا يطلقون ويراجعون من غير حد ولا عد، بين في هذه الآية، أنه: مرتان)(٢)

بلاغة البدل (هم) ودوره في تماسك النظم:

ذكر أبو حيان أن الضمير (هم) في قوله: (فأولئك هم الظالمون) يحتمل وجهين إعرابيين: ضمير فصل مبتدأ، أو بدل(١).

---

(١) أسباب النزول/ الواحدي/ ٧٩، ٨٠/ ت/ عصام بن عبد المحسن الحميدان/ دار الإصلاح- الدمام.

(٢) البحر المحيط/ ٢/ ٤٦٣.

وأما الطاهر بن عاشور فلم يلتفت إلىٰ إعراب الضمير، وبالرجوع إلىٰ إعرابه لمثل هذا الضمير في تفسيره،(٢)يظهر اتفاقه مع اختيار أبي حيان، والفصل بالضمير يفيد التوكيد، والبدل يزيد المبدل منه مع التوكيد وضوحا وبيانا، والمقام يقتضي هذا الوضوح الذي يفيده البدل، فالطلاق يتطلب العدل ومراعاة حدود الله الضامنة للمرأة حقها، وتعدي حدود الله جرم عظيم، يستحق مرتكبه أن ينعت بالظلم، وأن يجازىٰ جزاء الظالمين، وهذا يقتضي ورود الإبهام الذي يحرك العقل ويشعل توهج الوجدان الإيماني، فيأتي البدل ليضيف نكتة بلاغية دقيقة وهي زيادة اسم الإشارة توضيحا وبيانا، ليقر في وجدان المتلقي أن المراد أنهم ظالمون، كما أن البدل مع التوضيح يؤدي وظيفة تماسك جملة جواب الشرط وتلاحمها، التي أصبحت تعرب مع البدل أولئك: مبتدأ، والظالمون: خبر، والبدل تابع لاسم الإشارة.

وإذا كان الطاهر بن عاشور لم يتوقف عند الجانب الإعرابي إلا أنه تناول الجملة بيانيا، حيث يرىٰ أنه جيء باسم الإشارة لتمييز المشار إليه الذي يتعدىٰ حدود الله أكمل تمييز، (٣). وهذه النكتة أصيلة عند البلاغيين في التعبير باسم الإشارة.

وتعريف الطرفين يفيد القصر أو المبالغة في الوصف(٤)، وحدد نوع القصر، بأنه قصر حقيقي (فما من ظالم إلا وهو متعد حدود الله)(٥)وبذلك يكون الاهتمام في الجملة راجع إلىٰ وصف من تعدىٰ حدود الله بالظلم وتأكيده، ليرتدع من لا يتقي الله تعالىٰ في موقف الفصل في العلاقة الزوجية، وانفصالها.

---

(١) ينظر البحر المحيط/ ٢/ ٤٧٦.

(٢) ينظر/ التحرير والتنوير/ ١/ ٧٣.

(٣) التحرير والتنوير/ ٢/ ٤١٣.

(٤) البحر المحيط/ ٢/ ٤٧٦.

(٥) التحرير والتنوير/ ٢/ ٤١٣

ومما يلفت النظر في نظم هذه الآية هو تكرار اسم الجلالة (الله) أربع مرات، والثلاثة الأخيرة وضع فيها الظاهر موضع الضمير (لتربية المهابةِ وإدخال الروعةِ وتعقيبُ النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد)(١) والمقام يستدعي ذلك التخويف، لتستقيم حياة الناس في الإمساك أو في الانفصال.

وأما الموقع الثاني ففي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٤٠].

سيقت هذه الآية في ختام أحكام الطلاق؛ لتقرر حق المطلقة المتوفي عنها زوجها أن تبقىٰ في بيته وتتعيش من ماله حولا كاملا، ولها أن تخرج بعد أربعة أشهر وعشرا، وهل هي منسوخة بالآية السابقة التي حددت فيها عدة الوفاة أم لا، خلاف بين أهل العلم(٢).

وقد سبقت بآيتين تأمران بالمحافظة علىٰ الصلاة: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [سورة البقرة:٢٣٨-٢٣٩].

ولهما علاقة ارتباط قوية بالسياق، وتمتزجان مع تلك الأحكام، وذلك من وجهين:

---

(١) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم/ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفىٰ/ ١/ ٢٢٦/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) البحر المحيط/ ٢/ ٥٥٢.

الأول: أنها جاءت فاصلة بين أحكام الطلاق والزوج موجود، وبين أحكام ما بعد وفاته، وتلك لمسة قرآنية تهز وجدان المتلقي، وتثير فيه مكامن الإيمان، ولطائف الإحسان، فما ينبغي أن يفرط في هذه الفريضة التي تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر كما جاء في الآية: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [سورة العنكبوت:٤٥]. **ومن هذه الفحشاء ومن هذا المنكر، ظلم المرأة بتعدي حدود الله جل جلاله، فللصلاة دور بارز في توجيه المعنىٰ بربط الأحكام والالتزام بها بحقيقة إيمانية تنشأ من إقامة الصلاة والمحافظة عليها.**

ومجيئها عقب أحكام الطلاق والزوج حي يرزق تشعرني بآخر وصايا النبي الأكرم-صلىٰ الله عليه وسلم-وهي الوصية بالصلاة وبالنساء خيرا، فعن أنس بن مالك، قال: (كانت عامة وصية رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حين حضرته الوفاة، وهو يُغَرْغِرُ بنفسه: الصلاةَ، وما ملكت أيمانكم)(١)، فما هذا إلا من ذاك.

الثاني: لوجودهما توجيه-كما يرىٰ صاحب الظلال-بأن الأحكام والالتزام بها عبادة كعبادة الصلاة(٢)، وهذا ما يعين علىٰ إعمال الأحكام عامة وأحكام الطلاق خاصة والتخلق بها، فالنفوس قد يتسرب إليها الميل إلىٰ التهرب من الالتزامات والأحكام في هذا الجو المشحون بعواطف النفور والغضب بين الزوجين، فيأتي الحديث عن الصلاة ليحمي النفوس من الظلم والجور.

---

(١) أخرجه أحمد (١٢١٦٩)، وقال محققو المسند: إسناده صحيح، وأخرجه النسائي (٧٠٥٨)، (٧٠٥٧).

(٢) في ظلال القرآن/ ١/ ٢٥٨.

بلاغة البدل (متاع/ غير إخراج) ودوره في تماسك النظم:

يذكر أبوحيان أوجه الإعراب لكلمة متاع ومما قاله: إن نصبت (وصية) فمتاع منصوب بالفعل الناصب لوصية، وأجازوا نصب متاع صفة أو بدلا أو حالا من الموصين(١). ومثل هذا الإعراب ذكره في (غير إخراج)(٢)

بينما حدد الطاهر بن عاشور إعراب (غير إخراج) بالحال أو البدل من (متاعا) متفقا في ذلك مع أبي حيان(٣).

والمقام يستدعي مجيء الصورة التركيبية للبدل؛ لما له من وجه بلاغي في توضيح معنىٰ المبدل منه وتبيين المقصود منه، فما تعرف الوصية إلا ب (متاعا) وما نستبين سبيل ما وراء (متاعا) إلا ب (غير إخراج)

وسر بلاغة مجيء البدل هو ورود المعنىٰ مبهما في المبدل منه (الوصية) وهو ما يثير التشوق والتحفز لمعرفة المراد منه، والمقام يستدعيه، مقام تشريع يخص المرأة التي توفي عنها زوجها، ومن حقها أن تبقىٰ في بيت زوجها لتقتات منه لمدة حول كامل، وحق أن يعبر عنه ب (وصية) لتنال حظها من الاهتمام والتقدير والإجلال، ثم بينت ب (متاع) ليحدد المعنىٰ المراد، حتىٰ لا تفسر تفسيرا ينسجم مع حال المخاطبين أتقياء كانوا أم خبثاء، فإذا جاء البدل قر المعنىٰ من النفس قراره ووقع منها موقعا مؤكدا، كما أنه بوجوده في موضعين من نظم الآية يؤدي دورا بارا في تماسك نظمها وتلاحمه، لما بين التابع والمتبوع من تواصل، في المعنىٰ من جهة التوضيح والتأكيد، ومن جهة اللفظ فالتابع يلزم خصائص متبوعه النحوية.

---

(١) البحر المحيط/ ٢/ ٥٥٣.

(٢) البحر المحيط/ ٢/ ٥٥٤.

(٣) التحرير والتنوير/ ٢/ ٤٧٣.

البدل في سياق ذكر المؤمن والكافر واقتتالهما:

ورد البدل في موقعين: أولهما في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [سورة البقرة:٢٥٤].

تجمع المناسبة بين هذه الآية وما قبلها، فلما (ذكر أن الله تعالىٰ أراد الاختلاف إلىٰ مؤمن وكافر، وأراد الاقتتال، وأمر به المؤمنين، وكان الجهاد يحتاج صاحبه إلىٰ الإعانة عليه، أمر تعالىٰ بالنفقة من بعض ما رزق، فشمل النفقة في الجهاد، وهي، وإن لم ينص عليها، مندرجة في قوله: أنفقوا، وداخلة فيها دخولا أوليا، إذ جاء الأمر بها عقب ذكر المؤمن والكافر واقتتالهم)[(١)]، ولأهمية الإنفاق علىٰ وجه العموم والإنفاق علىٰ الجهاد في سبيل الله لحماية الدين والنفس والعرض والأرض استهلت الآية بالنداء المحبب إلىٰ النفوس ليعين ذلك علىٰ تحقيق الغرض، فالإنفاق عصب الجهاد وقوته الدافعة، فالعلاقة بينهما قوية ومتناسقة ورابطة بين الآية وسياقها.

بلاغة البدل (هم) ودوره في تماسك النظم:

ذكر أبو حيان أن الضمير (هم) يحتمل أن يعرب: بدلا من (الكافرون) أو مبتدأ أو ضمير فصل.[(٢)]

ولم يشر الطاهر بن عاشور إلىٰ البدل وغيره من وجوه إعراب الضمير في الجملة الكريمة، وانشغل بالتوجيه البياني لها[(٣)]، وذكرت سابقا أنه لا يختلف في إعراب هذا الضمير عما يذهب إليه أبو حيان.[(١)]

---

(١) البحر المحيط/ ٢/ ٦٠٤.

(٢) البحر المحيط/ ٢/ ٦٠٦.

(٣) التحرير والتنوير/ ٣/ ١٦.

وفي صيغة تركيب البدل توضيح لصفة من صفات الكافرين وهي الظلم، وهي الصفة التي تعاني منها البشرية في كل زمان ومكان، مما يكشف حقيقتهم البغيضة إلىٰ المتلقي، تنفيرا له من هذا الطريق المنحرف الضال الذي يؤدي إلىٰ ظلمات بعضها فوق بعض، ظلم النفس وإهلاكها، وظلم المجتمع وتدميره، وطريق التوضيح بعد الإبهام يزيد المعنىٰ في النفس تأكيدا، ويؤدي إلىٰ تماسك النظم وترابطه، بسبب هذه العلاقة الرابطة بين البدل والمبدل منه.

والموقع الثاني في قوله تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧٣].

تعتلق الآية بما قبلها اعتلاق الجواب بالسؤال، فهي بمثابة جواب عن سؤال تقديره: لمن هذه الصدقات المحثوث عليها؟ فجاءت (للفقراء....) جوابا عنه(٢)، وهو ما يعرب بلاغة بشبه كمال الاتصال، ويعد من أعلىٰ الروابط المهمة في تماسك النصوص، وتواصل سياقاتها.

بلاغة البدل (للفقراء) ودوره في تماسك النظم:

ذكر أبو حيان في إعراب (للفقراء) أوجها عديدة، فهي خبر لمبتدأ محذوف، أو متعلقة بمحذوف، واستبعد إعرابها بدلا من (فلأنفسكم) لكثرة الفواصل بينهما(٣). وهي علة اعتمدها في رفض إعراب البدل في بعض المواقع، وهي علة جديرة

(١) ينظر/ التحرير والتنوير/ ١/ ٧٣.

(٢) ينظر البحر المحيط/ ٢/ ٦٩٦.

(٣) البحر المحيط/ ٢/ ٦٩٧.

بالاعتبار، فكثرة الفواصل تضعف الهدف من البدل وهو التبيين والتوضيح، وتضعف دوره البارز في تماسك الجملة وترابط الأسلوب.

وأما الطاهر بن عاشور فقد اتفق مع أبي حيان في توجيه إعراب (للفقراء) بتعلقه بغيره، وخالفه في جعل المتعلق به مذكورا وهو تنفقوا الأخير(١). وهذا الوجه قوي في ترابط جمل النظم؛ لكونه ربط أول الآية بآخرها، مما جعل النظم مشدودا بقوة، أفرغ إفراغا واحدا، وتمسك آخره بأوله.

البدل في سياق تقرير الوحدانية والبعث:

وللبدل في هذا السياق حضور في قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

هي أعظم آية في كتاب الله تعالىٰ، فعن أبي بن كعب أن النبي-صلىٰ الله عليه وسلم-سأله، فقال: (يا أبا المُنْذِرِ، أَتَدْرِي أيُّ آيَةٍ مِن كِتابِ اللهِ معكَ أعْظَمُ؟ قالَ: قُلتُ: اللهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ. قالَ: يا أبا المُنْذِرِ أَتَدْرِي أيُّ آيَةٍ مِن كِتابِ اللهِ معكَ أعْظَمُ؟ قالَ: قُلتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قالَ: فَضَرَبَ في صَدْرِي، وقالَ: واللهِ لِيَهْنِكَ العِلْمُ أبا المُنْذِرِ)(٢)

وترتبط الآية بالسياق العام للسورة، وتتواصل بما قبلها وبما بعدها، فالسياق العام يشتمل علىٰ علم الأحكام وعلم القصص وما فيه مصلحة، وذكر في هذه الآية

(١) التحرير والتنوير/ ٣/ ٧٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه/ ح ٨١٠/ كتاب الصلاة، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي/ ٣١٦.

علم التوحيد، والعلاقة بينها تتجلىٰ في دفع الأحكامِ الغفلةَ عن القلوب، والقصص والمواعظ تلزم بالأحكام وتقرر دلائل المعارف، فيرسخ بذلك التوحيد، وبالجمع بين العلوم الثلاثة تطمئن النفوس وتشرح الصدور، وتفرح القلوب، ويزداد النشاط، مع حسن النظم وبلاغة التناسب وقوة الترابط والتلاحم.(١)

أما علاقة تواصلها مع ما قبلها، فإن الآية جاءت في سياق قوله تعالىٰ: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ [سورة البقرة:٢٥٣].، فبعد أن ذكر تفضيل الله لبعض الرسل تفضيلا، وأن منهم من كلمه، وفسر بموسىٰ عليه السلام، وأنه رفع بعضهم درجات فوق بعض وفسر بالنبي محمد-صلىٰ الله عليه وسلم-ونص علىٰ عيسىٰ عليه السلام، وكانت اليهود والنصارىٰ قد أحدثوا بعد نبيهم بدعا وخرافات، واتخذ العرب الذي بعث فيهم النبي وللناس كافة أوثانا من دون الله، فجاءت آية الكرسي لتقرر توحيده تعالىٰ، لتصحيح عقائد المنحرفين وترك ما انحرفوا إليه(٢).

ولما ذكر هول يوم القيامة وحال الكافرين في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ

(١) ينظر/ مفاتيح الغيب/ فخر الدين الرازي/ ٧/ ٣/ دار الفكر -بيروت ط١ ١٤٠١ه، ونظم السور في تناسب الآيات والسور/ إبراهيم عمر البقاعي/ ٤/ ٢٨/ ت/ عبد الرازق غالب مهدي/ دار الكتب العلمية-بيروت ١٤١٥م

(٢) البحر المحيط/ ٢/ ٦٠٧، وينظر/ حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن/ محمد الأمين عبد الله الأرمي الهرري/ ٤/ ١٦ وما بعدها/ طوق النجاة -بيروت/ ١٤٢١م

ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ [سورة البقرة:٢٥٤].، ثم استأنف بذكر تمجيد الله تعالىٰ وذكر صفاته إبطالا لكفر الكافرين وقطعا لرجائهم، لقوله فيها: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) وجعلت هذه الآية ابتداء لآيات تقرير الوحدانية والبعث.(١)

وأما علاقتها بما بعدها، فهي علاقة تواصل وارتباط كذلك، فبعد أن ذكر توحيد الله وصفاته العليا جاء قوله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ [سورة البقرة:٢٥٦]، ليقرر أنه لا إكراه في الدين الذي سطعت أنواره، وأشرق بالحق، وكانت بعض الملل لا سيما النصارىٰ يحملون الناس علىٰ الدخول في دينهم بالإكراه(٢).

بلاغة البدل (الذي) ودوره في تماسك النظم:

وقد جاء البدل (الذي) في قوله تعالىٰ: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) ويعرب (من) مرفوعا علىٰ الابتداء، وهو استفهام بلاغي يفيد النفي، واختلف في خبره، فهو إما (ذا) ويكون الاسم الموصول (الذي) نعتا لذا، أو بدلا منه. أو يكون ذا جزءا من الاستفهام (من ذا) والذي خبر له.

واختار أبو حيان الثاني، معللا لذلك بقوله: (لأن: ذا، إذا كان اسم إشارة وكان خبراً عن: من، استقلت بهما الجملة، وأنت ترىٰ احتياجها إلىٰ الموصول بعدها. والذي يظهر أن: من، الاستفهامية ركب معها: ذا، وهو الذي يعبر عنها بعض

(١) ينظر/ التحرير والتنوير/ ٣/ ١٧.

(٢) ينظر/ حدائق الروح والريحان/ ٤/ ١٦ وما بعدها.، وتفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد رضا/ ٣/ ٣٧/ دار المنار/ ط٣-١٣٦٧هـ.

النحويين أن: ذا، لغو، فيكون: من ذا، كله في موضع رفع بالابتداء، والموصول بعدهما هو الخبر، إذ به يتم معنىٰ الجملة الابتدائية)(١)

وهو اختيار الطاهر بن عاشور أيضا، ويكون المعنىٰ (أنه لا يشفع عنده أحد بحق وإدلال لأن المخلوقات كلها ملكه، ولكن يشفع عنده من أراد هو أن يظهر كرامته عنده فيأذنه بأن يشفع فيمن أراد هو العفو عنه)(٢)

الجملة (مَن ذا الذي ...) تحتمل أن تكون (ذا) اسم إشارة، ويصبح المعنىٰ (مَن هذا الذي ...) ويكون ذلك آكد من جعلها جزءا من (مَن) كما قالوا (إذا قرن اسم الإشارة بـ (ها التنبيه) كان آكد وأقوىٰ وذلك لأن فيه زيادة تنبيه)(٣) فالإشارة أقوىٰ من التنبيه، لما فيها من الجمع بين بيان اللسان وإشارة البنان، ويكون للبدل بالموصول دوره البلاغي المعهود في إبراز معنىٰ المبدل منه (ذا) وتوضيح ما فيه من إبهام، والإبهام يلفت النظر، ويثير الاهتمام والتدبر لمعرفة ما وراء هذا الإبهام من معنىٰ، وهذه العملية العقلية تثري المعنىٰ، وتحمس العقل علىٰ التأمل والاعتبار، فيأتي الموصول (البدل) ليسد بصلته هذه الثغرة، ويذيل ما لفت الانتباه إلىٰ المبدل منه، ولكن العقل المتدبر يكتشف أن الموصول (البدل) فيه خفاء لا يتكشف إلا بجملة الصلة (يشفع عنده إلا بإذنه) فالبدل له ارتباط بما قبله، وله ارتباط بما بعده، وهذا رابط قوي يشد المعنىٰ ويجمعه.

---

(١) البحر المحيط/ ٢/ ٦١٠، ٦١١.

(٢) التحرير والتنوير/ ٣/ ٢١.

(٣) معاني النحو/ د/ ٤/ ٢٦٨/ فاضل صالح السامرائي/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن– ط١ ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

وهذا التصاعد في الإبهام ودوره في لفت انتباهة العقل يناسب المعنىٰ المستهدف بأن لا شفاعة في هذا اليوم العظيم لأحد أيا ما كان إلا من يأذن له الله جل جلاله، وبتحصل المعنىٰ بعد سعي وطلب يقر قراره، ولا يخفىٰ أن مقام تبيين التوحيد بألوهية الله الحي القيوم يتطلب مجيء هذا البدل بهذه الصورة التركيبية الذي يحمل في جنباته إبهامين في البدل وفي المبدل منه، لتقوم جملة الصلة بتوضيحهما، ومن هذا التركيب تجلي ما في البدل من سبيل لتواصل المعنىٰ وثرائه وتعانق الكلمات وترابطها في سلكها المنظوم، ودوره في صناعة العلاقة بين ما قبله وما بعده.

المبحث الثالث: البدل المطابق المختلف عليه بين الشيخين وأثره في تماسك النظم في سورة البقرة:

تباينت آراء الشيخين واختلفت في تناول البدل أو تفضيل غيره عليه في خمس مواقع في سياقات أربعة، فكأنما كان كل منهما ينظر إلىٰ النص القرآني من زاوية مختلفة، ويحاول أن يعبر عنه بأسلوبه الخاص، وفق رؤيته الخاصة في تصور المعنىٰ الكريم، ووسيلة الإبانة عنه.

وجسد هذا الاختلاف روح التنوع والتعددية في التفسير، وعكس عمق وسعة المعنىٰ القرآني، وهذا يدعونا إلىٰ مزيد من البحث والدراسة في مثل هذا المجال الثري، لفتح آفاق جديدة أمام فهم النص القرآني. وجاءت هذه المواقع الخمس في هذه السياقات:

البدل في سياق بيان صفات المتقين:

وقد جاء البدل باسم الإشارة في قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [سورة البقرة:٥].

سبق أن بينت الدراسة مجيء الآية في سياق الحديث عن صفات المتقين القلبية والبدنية والمالية، لتلهب الحماس سعيا وجهادا في سبيل تحقيق التقوىٰ، للفوز بهاتين الثمرتين الجليلتين: (علىٰ هدىٰ من ربهم) و(المفلحون) وهما ثمرتان جديرتان ببذل الجهد واستفراغ الطاقة للفوز بهما، وتكرار اسم الإشارة مع أن الجهة المشار إليها واحدة (للتنبيه علىٰ أن كلتا الأثرتين جديرة بالاعتناء والتنويه)(١)

(١) التحرير والتنوير/ ١/ ٢٤٦

بلاغة البدل (أولئك) ودوره في تماسك النظم:

لأبي حيان في إعراب اسم الإشارة اختيارات ثم يذكر توجيها لما يختار منها، ويدفع ما يخالفه، ويمكننا أن نرتب ذلك كما يلي: إعراب (أولئك علىٰ هدىً...) جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر، والجملة في محل رفع خبر للمبتدأ (الذين) السابق. إعراب (أولئك) بدلا من (الذين). إعراب (أولئك) عطف بيان من (الذين). ومن ثم يكون (علىٰ هدىً...) خبرا للمبتدأ (الذين)(١)

ومنع إعراب (أولئك) وصفا للاسم الموصول (الذين) لكون اسم الإشارة أكثر قوة في التعريف، وهذا لا يجيزه أبو حيان قائلا: (ويمتنع الوصف لكونه أعرف)(٢). ومنع كذلك أن يكون اسم الإشارة مبتدأ خبره ما بعده علىٰ الاستئناف، إذا أعرب (الذين) خبرا لمبتدأ محذوف، أو كان مجرورا أو منصوبا.

وكان اختيار أبي حيان إعراب اسم الإشارة بدلا أو عطف بيان، ورفضه الوجه الأول (إعراب اسم الإشارة خبرا للاسم الموصول) وحجته أن الإعراب الذي يتسق مع اتصال النص وتماسكه أولىٰ وأليق، وهذا دور البدل وعطف البيان، وتقديمه البدل يدل علىٰ ترجيحه له واهتمامه به، لقوته في اتصال النظم الكريم، يقول أبو حيان: (وقَدْ تَقَدَّمَ أنّا لا نَخْتارُ الوَجْهَ الأوَّلَ لِانْفِلاتِهِ مِمّا قَبْلَهُ والذَّهابِ بِهِ مَذْهَبَ الِاسْتِئْنافِ مَعَ وُضُوحِ اتِّصالِهِ بِما قَبْلَهُ وتَعَلُّقِهِ بِهِ، وأيُّ فائِدَةٍ لِلتَّكَلُّفِ والتَّعَسُّفِ في الِاسْتِئْنافِ فِيما هو ظاهِرُ التَّعَلُّقِ بِما قَبْلَهُ والِارْتِباطِ بِهِ)(٣) .

---

(١) البحر المحيط/ ١/ ٧٢.

(٢) السابق.

(٣) البحر المحيط/ ١/ ٧٢.

وهي الحجة ذاتها التي رد بها محاولة الزمخشري إيجاد مخرج لهذا الاستئناف، بقوله (بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدىٰ عاجلا، وبالفلاح آجلا)(١)، وكان رد أبي حيان: (وعَلىٰ ما اخْتَرْناهُ مِنَ الِاتِّصالِ يَكُونُ قَدْ وصَفَ المُتَّقِينَ بِصِفاتِ مَدْحٍ فَضَلَتْ جِهاتِ التَّقْوىٰ، ثُمَّ أشارَ إلَيْهِمْ وأعْلَمَ بِأنَّ مَن حازَ هَذِهِ الأوْصافَ الشَّرِيفَةَ هو عَلىٰ هُدًىٰ، وهو المُفْلِحُ)(٢)، وهو فيه منطلق من منهجه في رفض ما فيه تعسف وتكلف وانقطاع اتصال النظم وانفكاك تماسكه، وبهذا يكون أبو حيان قد رسم خريطة اختياراته الإعرابية، وضرب المثال علىٰ دور البدل في تواصل المعاني وتأثيره فيها. وتماسك النصوص وترابطها. ويعد تدقيقه هنا باختيار البدل لما فيه من قوة اتصال النظم من مشاركته العلمية في قضية تماسك النص وترابطه، تلك القضية التي ظن كثير جدتها وحداثتها، وما ذلك إلا عمىٰ بصر، وانطماس بصيرة، بسبب هوىٰ التغرب، واستهجان تراث الأجداد.

واختار الطاهر بن عاشور أن تكون الجملة الاسمية (أولئك علىٰ هدىٰ من ربهم) مبتدأ وخبرا مستأنفة استئنافا بيانيا(٣)، وليس معنىٰ هذا انقطاع الجملة عما سبقها انقطاعا كاملا، فالانقطاع واقع للصلة الإعرابية، بينما الصلة المعنوية قائمة بينهما، فهي بمثابة جواب لسؤال تثيره صفات المتقين في نفوس المتلقين عن فائدتها، يقول الطاهر بن عاشور: (فقوله (أولئك علىٰ هدىٰ) جملة مستأنفة استئنافا بيانيا لأن السامع إذا سمع ما تقدم من صفات الثناء عليهم رقب فائدة تلك الأوصاف)(٤)

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ ١/ ٤٠/ دار المعرفة –بيروت لبنان/ ط٣ ١٤٣٠ه-٢٠٠٩م

(٢) البحر المحيط/ ٧٢.

(٣) التحرير والتنوير/ ١/ ٢٤٢.

(٤) السابق

والاستئناف البياني أو شبه كمال الاتصال كما يذكر في كتب البلاغة هو باب كثير الأسرار البلاغية، والوجوه البيانية التي بها تتواصل المعاني وتكثر الفوائد واللطائف، حيث تثير الجملة الأولىٰ في نفوس المتلقين سؤالا، فتأتي الجملة الثانية جوابا عن هذا التساؤل، وهذا من وجوه اتصال جمل النصوص وترابطها، كاتصال السؤال بالجواب[(١)]، وهذا التساؤل المثار من الجملة السابقة لا يؤدي إلىٰ ترابط النصوص فحسب، وإنما يربط أيضا بين النص والمتلقين، مما يجعلهم متواصلين مع النص ومرتبطين به، فيزداد النص بذلك نبضا وحياة وتماسكا.

يستنتج من هذا التحليل اهتمام الإمامين بأوجه ترابط النظم الكريم وتواصل معانيه، وقد وجده أبو حيان في البدل، الذي يولي اهتماما بتوضيح جوانب من المبدل منه ويبرزها، وارتضاه الطاهر بن عاشور في الاستئناف البياني، مما يكشف عن جانب من إعجاز البيان الكريم وأسراره التي تتراءىٰ لكل عقل متدبر باحث عن جماله وبلاغته.

ولا يغيب أن اختيار شبه كمال الاتصال هنا أولىٰ، لما فيه من نكتة بلاغية مؤثرة، وهي جعل المتلقي متفاعلا مع النظم الكريم، فهذه الخاصية لا تقابلها فائدة ذات شأن في اختيار البدل، حيث إنه لا وجود للخفاء أو الإبهام في (الذين) لوجود صلته المبينة عن إبهام الاسم الموصول، ومن ثم لا يؤدي البدل نكتة ذات قيمة، بخلاف اختيار الاستئناف البياني.

كما أن البدل لم يكن اختيار الكثير من أهل العلم، فالزجاج يقول: (موضع (أولئك) رفع بالابتداء، والخبر: (علىٰ هدىً من ربهم)[(٢)] واتفق معه الزمخشري في

(١) ينظر/ الإيضاح/ ١٢٤.

(٢) معانىٰ القرآن وإعرابه/ ١/ ٧٤.

كونه مرفوعا، لكنه جعله خبر للذين، فيقول: (أولئك علىٰ هدىٰ الجملة في محل الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ وإلا فلا محل لها)[١]وتبعه ابن عطية[٢]، ويجيز النسفي ما قال به الزجاج وصاحب الكشاف قائلا: (الجملة في موضع الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ وإلا فلا محل لها ويجوز أن يجري الموصول الأول علىٰ المتقين وأن يرتفع الثاني علىٰ الابتداء وأولئك خبره)[٣] وبمثل قولهم قال أبو السعود والألوسي وغيرهم.[٤]

ومما لا يفوتني أن أشير إلىٰ ما في دلالة البعد من تكريم وتشريف للمتقين، مما يزيد ذكر هذه الصفات العمدة التي خص بها المتقون ألقا وأثرا، فهم في علو مكانة وارتفاع شأن، وهذا أنسب للسياق الذي سبق فيه اختيار (ذلك) بدلالته علىٰ بعد المكانة والمنزلة تعظيما لشأن القرآن الكريم، وكأن النظم قاصد إلىٰ إبراز معنىٰ لطيف دقيق، بأن القرآن كتاب عالي المكانة، وأن أثره في الهداية عظيم، وأنه يعلي شأن الذين يستمدون منه الهدىٰ والتقوىٰ ويرتقي بهم، وهذه النكتة مما تستحث به النفوس، وتشحذ به الهمم، وترتفع به العزائم، وتعلو به الأصوات التالية، وتصفو به القلوب التقية النقية المقبلة.

(١) الكشاف/ ١/ ٤٣.

(٢) المحرر الوجيز/ ١/ ٨٦.

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل/ ١/ ٤٣.

(٤) إرشاد العقل السليم/ ١/ ٣٣، وروح المعاني/ ١/ ١٢٥، وإعراب القرآن الكريم/ ١/ ٢٤.

البدل في سياق خطاب بني إسرائيل وتذكيرهم بنعمته تعالى عليهم:

حيث برز البدل في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة البقرة:٥٤].

في سياق تذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم جاءت هذه الآية الكريمة، لتقرر حكم الله تعالىٰ في عبدة العجل، وهل هي من نعم الله عليهم فتكون الآية متصلة بسياقها، أم منقطعة وما بعدها عما قبلها، خلاف بين أهل العلم.

فالأمر بالقتل هو علة القول بالانقطاع، لكونه ليس من النعم، ولما كان الأمر بالقتل توبة تخلصهم من عقاب الذنب العظيم، فالتذكير به من أعظم النعم، والآية متصلة بسياقها ومرتبطة به ارتباطا وثيقا، فبعد التذكير بنعم الدنيا، نبههم هنا إلىٰ نعم دينية وهي أولىٰ وأعلىٰ(١).

بلاغة البدل (فاقتلوا أنفسكم) ودوره في تماسك النظم:

يترتب الإعراب عند أبي حيان علىٰ معنىٰ الفاء في الجملة، فإن كانت تدل علىٰ السببية كما في (فتوبوا) فتكون جملة (اقتلوا أنفسكم) بدلا من (فتوبوا) والمعنىٰ قائم علىٰ أن التوبة هي نفس القتل، وأن الله تعالىٰ جعل توبتهم قتل أنفسهم. وإذا كانت الفاء للتعقيب أي أتبعوا توبتهم قتل أنفسهم، والقتل من تتمة التوبة وشروطها(٢).

وأما الطاهر بن عاشور فيرىٰ أن الفاء مؤكدة للفاء السابقة في (فتوبوا إلىٰ ربكم) والجملة (اقتلوا أنفسكم) بيان لها، ويحسن ذلك عنده إذا عطفت جملة الفعل المحسوس (اقتلوا) علىٰ جملة فعل غير محسوس (توبوا)(٣).

---

(١) ينظر/ البحر المحيط/ ١/ ٣٣٢، والتحرير والتنوير/ ١/ ٥٠٣.

(٢) ينظر البحر المحيط/ ١/ ٣٣٦.

(٣) ينظر/ التحرير والتنوير/ ١/ ٥٠٤.

فالفاء إذن هي الموجه للمعنىٰ والمؤثر الأهم فيه، كما أنها تؤدي دورا بارا في تلاحم النظم وترابط أجزائه، لكونها لا تفيد مجرد أن ما بعدها متأخر عما قبلها في الذكر، وإنما حسن ذكر ما بعدها إثر ما قبلها(١)، وهو ما نلمحه في نظم الآية وترتيب جمله، سواء أفادت السببية فتجتمع أداتان للربط، الفاء والبدل، أو التعقيب، وتكون وحدها الرابطة بين الجملتين، وتلك وظيفتها إذا جاءت عاطفة بين الجمل(٢).

ولا ريب أن دلالة الفاء علىٰ السببية مع البدل تجعل العلاقة شديدة التواصلية بين الجملتين، وبين الفاء وسابقتها، مما يزيد النص ترابطا وتماسكا، فيجذب انتباهة المتلقي وحضوره، ولا يخفىٰ أن هذا من دلائل استقرار المعاني في النفوس، وتقبلها لها.

البدل في سياق تحويل القبلة:

في هذا السياق كان البدل في قوله تعالىٰ: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾ [سورة البقرة:١٥١].

في الحديث عن تحويل القبلة تأتي هذه الآية الكريمة؛ لتذكير المؤمنين بنعمة الله العظيمة عليهم، وهي نعمة إرسال الرسول-صلىٰ الله عليه وسلم- إليهم، وتضمنت الآية عدة نعم تنطوي تحت ظلال نعمة الإرسال، وهي أنه منهم، وأن وظيفته الأولىٰ يتلو عليهم آيات الله جل وعلا، والثانية تزكيتهم وتطهير نفوسهم، والثالثة تعليمهم الكتاب والحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، وتعليمهم ما كانوا جاهلين به، من باب ذكر العام بعد الخاص، وهي نعم تطلب الشكر لله وتمجيده، وتقتضي التمسك باتباعه صلىٰ الله عليه وسلم والاقتداء به.

---

(١) ينظر/ أدوات الربط في اللغة العربية وأثرها في الدلالة/ ٥٦.

(٢) الجنىٰ الداني في حروف المعاني/ الحسن بن القاسم المرادي/ ٧٦/ ت/ فخر الدين قباوه، ومحمد نديم فاضل/ دار الكتب العلمية-بيروت لبنان.

وترتبط بوجه آخر بسياقها، فهي نفسها دعوة إبراهيم -عليه السلام- فقد دعا ربه: (ربنا وابعث فيهم رسولا.....) ليتذكر العرب أنه دعوة جده الخليل وابنه إسماعيل وهما يرفعان قواعد البيت، ومن هنا يكون لمجيئها في سياق تحويل القبلة من المسجد الأقصىٰ إلىٰ البيت الحرام مناسبة قوية بارزة يتلاحم بها السياق ويترابط.

كما أن التشبيه -كما يقول الطاهر بن عاشور-للعلتين في قوله تعالىٰ (ولأتم نعمتي عليكم...) وفي قوله: (ولعلكم تهتدون) أي ذلك من نعمتي عليكم كنعمة إرسال النبي الأكرم صلىٰ الله عليه وسلم(١). والتشبيه يجمع الطرفين في الصورة، ويربط بينهما بوجه شبه مقصود، مما يزيد ترابط الآية بسياقها وتلاحم مكوناتها بأوجه عديدة.

بلاغة البدل (رسولا) ودوره في تماسك النظم:

تناول أبوحيان إعراب ما في قوله: (كما أرسلنا...) بأنها مصدرية، واستبعد قول من زعم أنها موصولة، والعائد محذوف، و(رسولا) بدل من ما الموصولة، والتقدير: كالذي أرسلناه رسولا(٢). والظاهر أن (رسولا) مفعول به للفعل (أرسل) والمفعول ذو ارتباط بالجملة وتواصل معها، ودوره فاعل في تلاحم النظم وإبراز المعنىٰ، وتنكيره بغرض التعظيم جعل تواصله مع ما بعده أقوىٰ وأكثر ارتباطا، فهي صفات متوالية له، ولعل هذا ما جعل الطاهر بن عاشور يمر عليه دون إشارة إلىٰ إعراب (رسولا) بناء علىٰ ظهور إعرابه مفعولا به، وكذا فعل الكثير من أئمة النحو(٣).

---

(١) ينظر/ الطاهر بن عاشور/ ٢/ ٤٨.

(٢) ينظر/ البحر المحيط/ ٢/ ٤٥.

(٣) ينظر/ إعراب القرآن/ النحاس/ ١ /٢٧٢/ عالم الكتب ١٤٠٩ه-١٩٨٨م، والإعراب المفصل لكتاب الله المرتل/ بهجت عبد الواحد صالح/ ١/ ١٩٥/ دار الفكر – عمان- ط٢- ١٤١٨ هـ.

البدل في سياق تقرير الوحدانية والبعث:

وأتى البدل في موقعين: الأول: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة البقرة:١٦٣].

تقصد الآية إلىٰ تقرير وحدانية الله جل جلاله، وروي عن ابن عباس أنها نزلت في كفار قريش، قالوا: يا محمد، صف وانسب لنا ربك، فنزلت سورة الإخلاص وهذه الآية(١).

وقد وردت في سياق البيان عن الطواف بين الصفا والمروة، وما كان يثار حول كونه من التقاليد الجاهلية، ثم الحديث عمن يكتمون ما أنزل من البينات من أهل الكتاب، وفتح باب التوبة لمن يرجع منهم إلىٰ الحق والهدىٰ.

بلاغة البدل (هو/ الرحمن) ودوره في تماسك النص:

ذكر أبوحيان أن الضمير (هو) بدل من اسم (لا) علىٰ موضعه، ورد قول من جعله بدلا من (إله) حيث لا يمكن أن يكون علىٰ تقدير تكرير العامل، واختار أن يكون بدلا من الضمير المستكن في الخبر المحذوف، وأما (الرحمن) فيجوز إعرابه بدلا من الضمير (هو) وإعرابه خبرا لمبتدأ محذوف تقديره: (هو) أو إعرابه خبرا بعد خبر لقوله: إلهكم(٢).

والبدل في الموضوعين يظهر معنىٰ المبدل منه فيهما: ففي الأول المبدل منه ضمير مستكن في خبر (لا) المحذوف، فزيد بالبدل (هو) وضوحا وظهورا وتأكيدا لوحدانية الله تعالىٰ، وتقرير هذه الوحدانية هو مقصود الآية في سياقها.

---

(١) البحر المحيط/ ٢/ ٧٤.

(٢) البحر المحيط/ ٢/ ٧٧.

وفي الثاني المبدل منه محذوف تقديره (هو) فجاء البدل (الرحمن) ليبرز سعة رحمة الله تعالىٰ التي تفتح باب الأمل لكل من يريد التوبة والرجوع عن ضلاله، فقد (جاءت هذه الآية عقب آية مختومة باللعنة والعذاب لمن مات غير موحد له تعالىٰ، إذ غالب القرآن أنه إذا ذكرت آية عذاب، ذكرت آية رحمة، وإذا ذكرت آية رحمة، ذكرت آية عذاب)(١)، وهذه المقابلات البلاغية اللفظية أو المعنوية من سمات البيان القرآني الكريم ذات التأثير الكبير في نفوس المتلقين، وبهذا تجلىٰ أثر البدل في نظم الآية حيث أدىٰ إلىٰ تماسكه وترابطه، وكذلك له أثره في تلاحم السياق وتواصله.

وأما الطاهر بن عاشور فقد أعرب الرحمن الرحيم وصفين للضمير، وقد منعه العكبري (لأن الضمير لا يوصف ولا يكون خبرا لهو، لأن المستثنىٰ هنا ليس بجملة)(٢) واختار إعرابه بدلا أو خبرا لمبتدأ. كما رد الطاهر بن عاشور تعدد أوجه الإعراب عند أبي حيان قائلا: (ولأبي حيان هنا تكلفات)(٣)، ووراء قوله هذا –كما ذكر سابقا–دافع من انشغاله بالجانب البياني، ولم يكن للنحو بروز إلا فيما له أثر ظاهر في بلاغة البيان الكريم.

والموقع الثاني جاء في قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [سورة البقرة:٢٥٥].

---

(١) البحر المحيط/ ٢/ ٧٧.

(٢) التبيان في إعراب القرآن/ ١/ ١٣٣.

(٣) التحرير والتنوير/ ٢/ ٧٦.

سبق تناول الدراسة لمكانة هذه الآية العظيمة، وسياقاتها التي وردت فيها، وقد جاء البدل في قوله: (الحي) ودوره في تماسك النص:

جاء البدل المطابق في إعراب أبي حيان في قوله تعالىٰ ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ حيث أورد أوجها إعرابية عديدة، فقال: (وجوّزوا رفع الحي علىٰ أنه صفة للمبتدأ الذي هو: الله، أو علىٰ أنه خبر بعد خبر، أو علىٰ أنه بدل من: هو، أو من: الله تعالىٰ، أو: علىٰ أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: هو، أو: علىٰ أنه مبتدأ والخبر: لا تأخذه)(١)، والمبدل منه إما (هو) ومحله الرفع، أو من (الله)، والمختار عند أبي حيان إعرابه وصفا، معللا لذلك بقوله: (وأجودها الوصف، ويدل عليه قراءة من قرأ: الحيَّ القيومَ بالنصب، فقطع علىٰ إضمار: أمدح، فلو لم يكن وصفًا ما جاز فيه القطع، ولا يقال: في هذا الوجه الفصل بين الصفة والموصوف بالخبر، لأن ذلك جائز حسن، تقول: زيد قائم العاقل)(٢)

واختار الطاهر بن عاشور وجها واحدا للإعراب ولم يذكر غيره، فالحي خبر لمبتدأ محذوف، (والمقصود إثبات الحياة وإبطال استحقاق آلهة المشركين وصف الإلهية لانتفاء الحياة عنهم)(٣)

لم يأت البدل في الأسماء الحسنىٰ إلا في موضعين (الرحمن/ الحي) وهما مما اختلف في إعرابهما الشيخان، واصطفاء البدل هنا يؤدي إلىٰ إبراز جانب من الخشية والمهابة التي تستشعر من استهلال نظم الآية باسم الذات جل جلاله، بأنه تعالىٰ الحي في نفسه، الذي له جميع معاني الحياة الكاملة المتجردة من الزمان المصاحب لحياة

(١) البحر المحيط/ ٢/ ٢٠٨، ٢٠٩.

(٢) البحر المحيط/ ٢/ ٢٠٩.

(٣) التحرير والتنوير/ ٣/ ١٧.

الخلائق المكتسبة المحددة البدء والنهاية[١]، فهي حياة بلا بداية وبلا نهاية، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ) الشورىٰ/ ١١، وأثر هذا في نفوس المؤمنين جليل النفع، عظيم القدر، بما يستشعرونه من كمال صفاته تعالىٰ ووجوده الحاضر الذي لا يغيب، وهذا الذكر الشعوري يطمئن القلوب ويهدئ النفوس ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الرعد:٢٨].

كما أنه في مثل سياق الآيات الكثيرة الجمل يكون للبدل أولوية في الاختيار الإعرابي لما له من فضيلة تواصل نظم الآية وتماسكه.

بهذه الآية الكريمة تنتهي مواقع البدل المطابق في سياقات سورة البقرة في تفسيري البحر المحيط والتحرير والتنوير، وقد تلبثنا أمام سياق كل آية للوقوف علىٰ أوجه التناسب بين الآية وما قبلها، ثم دور هذا التناسب في ترابط النص الكريم في هذه السورة المباركة، كما تناولنا بالدرس والتحليل للبدل ودوره في توضيح المعاني، وفي تماسك نظم الآية، وتلاحم مكوناتها، مما يؤدي في النهاية إلىٰ ترابط النص الكريم وتواصله وتعاونه في تحقيق مقصوده في نفوس المتلقين.

(١) في ظلال القرآن/ ٣/ ٢٨٧.

الخاتمة:

بفضل الله تعالىٰ تمت هذه الدراسة التي شغلت بدور البدل المطابق في سورة البقرة في تماسك النظم وترابطه، بين أبي حيان والطاهر بن عاشور في تفسيريهما، وقد توصلت إلىٰ مجموعة من النتائج الجديرة بالتحرير، وهي كما يلي:

- تعد نظرية التماسك النصي جزءا من النظرية البلاغية الكلية، وأن أئمة البلاغة العربية وبعض المفسرين لم يهملوا هذا الجانب، ولم يغفلوا عن هذه القضية ذات الشأن العلي في الدرس البلاغي قديما وحديثا.
- وجوب اتباع أصول البحث العلمي، فينبغي للباحث العربي أن يقيم بحثه بميزان العدل، فلا يتغرب بجعل النظرية الغربية أصلا للتطبيق علىٰ النصوص العربية، ثم الإشارة إلىٰ تواجدها في التراث البلاغي العربي، فلا يخفىٰ ما في ذلك من استخفاف بالبحث العلمي الذي من أهم مبادئه الصدق والأمانة وتجنب الانحياز واتباع الهوىٰ، فالبحث العلمي يقتضي البدء بالأسبق ثم قياس اللاحق عليه، والارتكاز علىٰ منهج المقارنة بين النظريتين، للوصول إلىٰ نتائج علمية ذات ثقل وجدة وطرافة.
- علم النحو أساس البلاغة وركيزتها، ورافد غزير العطاء في التحليل البلاغي، فإذا كانت البلاغة تهتم بمحاسن الكلام والتعبير عن جمالياته، فإن النحو يحدد مواضع الكلمات في الجملة ووظائفها، وينظم العلاقات بين الكلمات، مما يسهم في وضوح المعنىٰ وترابط الأسلوب وتماسك النص، وهذا ما تلبثت أمامه الدراسة كثيرا أمام النظم المشتمل علىٰ البدل المطابق في سورة البقرة.
- يعتبر البدل من أهم عوامل ترابط النص لفظا ومعنىٰ، حيث يرد المبدل منه مبهما، ثم البدل ليكشف عن جوانبه، ويظهر خفاياه، ويكشف عن غوامضه، وورود المعنىٰ مبهما يثير النفوس ويهيج الوجدان ويشوق لما يأتي ويمهد له ثم تجليته بما

يثبته في قلب المتلقي ويقرره، ويمكننا إضافة بعض ملامحه المؤثرة العامة في ثلاثة أمور:

- ✓ يسهم البدل في ربط المعاني وتواصلها وتلاحم المفردات والجمل ذات الصلة.
- ✓ يساعد البدل علىٰ توضيح المعنىٰ وإزالة الغموض.
- ✓ يضيف البدل جمالية للنص بما يضيفه من معان إضافية للمبدل منه.

• بلغت مواقع البدل المطابق في سياق سورة البقرة ستة وعشرين موقعا في تفسيري: البحر المحيط، والتحرير والتنوير-بينما بلغت في كتب التفسير والإعراب والقراءات اثنين وستين مرة- وجاءت في سياقات عديدة بلغت ثلاثة عشر، وهي كالتالي:

١- سياق الاستهلال ببيان كمال الكتاب الكريم هداية وإعجازا، وقد جاء البدل المطابق في هذا السياق مرة واحدة في الآية (٢).

٢- سياق بيان صفات المتقين، وقد جاء البدل المطابق في هذا السياق ثلاث مرات في الآيات (٣، ٤، ٥).

٣- سياق بيان صفات المنافقين، وقد جاء البدل المطابق في هذا السياق مرة واحدة في الآية (١٦).

٤- سياق نداء الناس جميعا لعبادة الخالق العظيم، وقد جاء البدل المطابق في هذا السياق مرة واحدة في الآية (٢١).

٥- سياق الرد علىٰ مثيري الفتنة والشغب من أمثلة القرآن الكريم، وقد جاء البدل المطابق في هذا السياق مرتين في الآيتين (١٦، ٢٩).

٦- سياق قصة آدم عليه السلام، وقد جاء البدل المطابق في هذا السياق مرة واحدة في الآية (٣٢).

٧- سياق خطاب بني إسرائيل وتذكيرهم بنعمته تعالىٰ عليهم، وقد جاء البدل المطابق في هذا السياق ثلاث مرات في الآيات (٤٨، ٥٤، ٦٢).

٨- سياق ذكر مخازي بني إسرائيل ومساوئ مواقفهم، وقد جاء البدل المطابق في هذا السياق مرة واحدة في الآية (١٠٢).

٩- سياق تحويل القبلة، وقد جاء البدل المطابق في هذا السياق أربع مرات في الآيات (١٤٦، ١٤٧، ١٥٠، ١٥١).

١٠- سياق تقرير الوحدانية والبعث، وقد جاء البدل المطابق في هذا السياق مرتين (١٦٣، ٢٥٥).

١١- سياق الحديث عن فريضة الصيام، وقد جاء البدل المطابق في هذا السياق مرتين في الآيتين (١٨٤، ١٨٥).

١٢- سياق بيان أحكام الطلاق ومعالجة قضاياه، وقد جاء البدل المطابق في هذا السياق مرتين في الآيتين (٢٢٩، ٢٤٠).

١٣- سياق ذكر المؤمن والكافر واقتتالهما، وقد جاء البدل المطابق في هذا السياق مرتين في الآيتين (٢٥٤، ٢٧٣).

وكثرة وروود البدل المطابق في هذه السياقات المتعددة يبرز دوره العلي في ترابط السياقات العديدة، وتماسك النصوص المختلفة، لما بين البدل والمبدل منه من علاقة قائمة علىٰ التوضيح بعد الإبهام، والعديد من المعاني ذات الظلال المنسولة من موقع البدل وسياقاته علىٰ النحو الذي مر بنا في دراستنا.

- اتفق أبوحيان والطاهر ابن عاشور في اختيار البدل في واحد وعشرين موقعا في اثني عشر سياقا، واختلفا في خمسة مواقع في سياقات أربعة.
- عني أبوحيان بالقضايا النحوية ومناقشتها وقبول الذي لا يتكلف فيها، وترجيح ما يناسب المقام، ثم اللفت إلىٰ النكتة البلاغية المفادة من اختياراته النحوية. أما الطاهر ابن عاشور فكان اهتمامه منصوب للنكات البيانية، وتناول المسائل النحوية المؤثرة في توجيهاته البيانية.
- يعد أبوحيان مبرزا في تطبيق القضايا النحوية في توجيهات المعنىٰ للبيان القرآني الكريم، فهو من هذا المنطلق يتقاطع مع الزمخشري الذي عني بتطبيق نظرية النظم في تناوله للمعنىٰ القرآني الكريم. وأما الطاهر ابن عاشور فهو امتداد للتفاسير البيانية التي كان الزمخشري إماما لها.
- يدرك كل دارس للبدل وتوجيهه في البحر المحيط فهم أبوحيان لقضية ترابط النسق وتلاحمه، فكثيرا ما يشير إلىٰ اختلاف البدل والصفة في تواصلهما مع المبدل منه والموصوف، بينما يقف الدارس للتحرير والتنوير اهتمام الطاهر بن عاشور بهذه القضية من خلال حديثه عن الاستئناف البياني الذي احتفىٰ به كثيرا.
- يعتبر المنهج القائم علىٰ الموازنة ببين المفسرين ذوي الميول البلاغية هو المنهج الأمثل الكاشف عن الأسرار البلاغية والوقفات البيانية التي تفتح آفاقا للدرس البلاغي المعاصر.

توصية:

وهذا ما أوصي به الباحثين المعنيين بالبحث البلاغي، والراغبين في المساهمة في الارتقاء بهذا العلم الشريف، وبخاصة في ميدان الكشف عن وسائل ترابط الجملة،

وسبك الأسلوب وتماسك النص، لما في ذلك من فتح أبواب جديدة في الدرس البلاغي القائم علىٰ الذوق الجمالي التحليلي.

هذا، وما كان من فضل فمن الله وحده، وما كان من تقصير فمن نفسي ومن الشيطان، وصل اللهم علىٰ من أوتي جوامع الكلم، وسلم تسليما كثيرا.

المصادر:

١. **الإتقان في علوم القرآن**/ جلال الدين السيوطي/ ت/ محمد سالم هاشم/ دار الكتب العلمية.

٢. **الإحالة في نحو النص**/ أحمد عفيفي/ كلية دار العلوم-جامعة القاهرة.

٣. **الإحالة ودورها في التماسك النصي (سورة البقرة أنموذجا)** ماجستير للباحثة/ حكيمة حاج علي/ كلية الآداب واللغات/ جامعة أحمد دراية أدوار-الجزائر ١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م.

٤. **أدوات الربط في اللغة العربية وأثرها في الدلالة**/ أيمن نصيب/ أطروحة دكتوراه/ جامعة الجزائر٢-أبو القاسم سعد الله/ ٢٠١٨م.

٥. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**/ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفىٰ/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٦. **أسباب النزول**/ الواحدي/ ت/ عصام بن عبد المحسن الحميدان/ دار الإصلاح-ط٢-١٤١٢ه-١٩٩٢م.

٧. **أسباب النزول المسمى (لباب النقول في أسباب النزول)** السيوطي/ مؤسسة الكتب الثقافية-بيروت- لبنان/ ط١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م

٨. **إعراب القرآن الكريم**/ إعداد الأساتذة: عبد الله علوان، خالد الخولي، محمد إبراهيم، صبري عبد العظيم، جاد العزب، السيد فرج/ دار الصحابة للتراث – طنطا/ ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.

٩. **إعراب القرآن الكريم وبيانه**/ محي الدين الدرويش/ دار ابن كثير/ ١٤١٢هـ-١٩٩٢م

١٠. **الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل**/ بهجت عبد الواحد صالح/ دار الفكر – عمان- ط٢- ١٤١٨ هـ.

١١. **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**/ ابن هشام/ ت/ يوسف الشيخ محمد البقاعي/ دار عمار بالأردن.

١٢. **الإيضاح في علل النحو**/ الزجاج/ ت/ د/ مازن المبارك/ دار النفائس ط٣/ ١٩٧٩م.

١٣. **الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع**/ الخطيب القزويني/ ت/ إبراهيم شمس الدين/ دار الكتب العلمية- بيروت لبنان.

١٤. **البحر المحيط في التفسير**/ أبي حيان الأندلسي/ ت/ صدقي محمد جميل/ دار الفكر-بيروت لبنان/ ١٤٣٢هـ-٢٠١٠م

١٥. **بحوث المطابقة على مقتضى الحال**/ د. علي البدوي/ مصر.

١٦. **البرهان في علوم القرآن**/ الزركشي/ ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم/ ط٣/ دار الفكر ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

١٧. **بلاغة الاستهلال بالحمد في السور الخمس**/ د/ شحاتة عبد الرازق أبوشوشة/ رسالة دكتوراه في كلية اللغة العربية بالمنوفية-جامعة الأزهر/ ١٤٢٧ه-٢٠٠٦م.

١٨. **البيان والتبيين**/ الجاحظ/ دار الهلال-بيروت -١٤٢٣هـ.

١٩. **تأويل مشكل القرآن**/ ابن قتيبة/ ت/ إبراهيم شمس الدين/ دار الكتب العلمية/ بيروت – لبنان.

٢٠. **التبيان في إعراب القرآن**/ عيسىٰ البابي الحلبي/ ١٩٧٦م.

٢١. **التحرير والتنوير**/ الطاهر بن عاشور/ السداد التونسية/ ١٨٨٤م.

٢٢. **التذييل في القرآن الكريم-دراسة بلاغية- سورة البقرة أنموذجا**/ بحث ماجستير/ للطالبة/ فاطمة الزهراء معزوز/ قسم اللغة والأدب العربي/ كلية الآداب واللغات/ أكلي مهند ألحاج-الجزائر عام ٢٠١٢-٢٠١٣م.

٢٣. **تفسير الشعراوي**/ محمد متولي الشعراوي/ أخبار اليوم-قطاع الثقافة.

٢٤. **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)** محمد رشيد رضا/ دار المنار/ ط٣-١٣٦٧هـ.

٢٥. **تفسير القرآن العظيم**/ ابن كثير/ دار ابن حزم/ ط١/ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٦. **وتفسير مبهمات القرآن**/ أبو عبد الله محمد بن علي البلنسي/ ت/ الدكتور حنيف بن حسن القاسمي/ دار الغرب الإسلامي- بيروت – لبنان/ ط١-١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٢٧. **التّفصيل في إعراب آيات التّنزيل**/ د/ عبد اللطيف محمد الخطيب وآخرون/ مكتبة الخطيب-ط١-٢٠١٥م.

٢٨. **تكريم الرسول وتوقيره في القرآن الكريم**/ د/ صبحي عفيفي/ رسالة دكتوراه/ كلية اللغة العربية بالمنوفية.

٢٩. **التماسك النصي من خلال الإحالة والحذف-دراسة تطبيقية في سورة البقرة**/ رسالة ماجستير للباحث/ محمد الأمين مصدق/ كلية اللغة والأدب العربي والفنون/ جامعة الحاج لخضر باتنة-١٤٣٦هـ-٢٠١٥م

٣٠. **تناسق الدرر في تناسب السور** / السيوطي/ ت / عبد الله الدرويش / عالم الكتب.

٣١. **التيسير في أصول واتجاهات التفسير**/ عماد علي عبد السميع/ دار الإيمان – الإسكندرية – ٢٠٠٦م.

٣٢. **ثنائية السبك والحبك في اللغة والأدب**/ عبد الوهاب خلف الله إمبية/ مجلة جامعة سبها/ مجلد ٨/ العدد الأول/ ٢٠٠٩م.

٣٣. **الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة**/ محمود صافي/ دار الرشيد دمشق- بيروت، مؤسسة الإيمان بيروت – لبنان/ ط٣/ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٣٤. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**/ ابن جرير الطبري/ ت/ د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي/ هجر للطباعة والنشر.

٣٥. **الجامع لأحكام القرآن**/ القرطبي/ ت/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش/ دار الكتب المصرية – القاهرة/ ط٢ ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.

٣٦. **الجنى الداني في حروف المعاني**/ الحسن بن القاسم المرادي/ ت/ فخر الدين قباوه، ومحمد نديم فاضل/ دار الكتب العلمية-بيروت لبنان.

٣٧. **حبك النص**/ د/ محمد العبد/ مجلة فصول/ ع/ ٥٩/ ربيع ٢٠٠٢م/ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٨. **حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**/ محمد الأمين عبد الله الأرمي الهرري/ طوق النجاة –بيروت/ ١٤٢١م.

٣٩. **الخصائص**/ ابن جني/ ت/ محمد علي النجار/ دار الهدىٰ للطباعة والنشر/ بيروت –لبنان/ ط٢.

٤٠. **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**/ محمد عبد الخالق عضيمة/ تصدير/ محمود محمد شاكر/ دار الحديث، القاهرة.

٤١. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**/ السمين الحلبي/ ت/ أحمد الخراط/ دار القلم-دمشق.

٤٢. **دلائل الإعجاز**/ عبد القاهر الجرجاني/ ت/ محمود شاكر/ مكتبة وهبة.

٤٣. **دينامية النص: تنظير وإنجاز**/ محمد مفتاح/ المركز الثقافي العربي/ ط١- ١٩٨٧م.

٤٤. **الرسالة اللدنية**/ أبو حامد الغزالي/ ت/ نجاح عوض/ دار المقطم- القاهرة ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

٤٥. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**/ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي/ ت/ علي عبد الباري عطية/ دار الكتب العلمية – بيروت- ط١- ١٤١٥ هـ.

٤٦. **شرح التسهيل-تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**/ جمال الدين محمد بن عبد الله الأندلسي/ ت/ محمد عبد القادر عطا، طارق فتحي السيد/ دار الكتب العلمية/ ط١/ ١٤٢٢ه-٢٠٠١م.

٤٧. **شرح المفصل**/ موفق الدين بن يعيش/ إدارة الطباعة المنيرية.

٤٨. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز/ الإمام يحيىٰ بن حمزة العلوي/ ت/ محمد عبد السلام شاهين/ دار الكتب العلمية-بيروت لبنان.

٤٩. **عيار الشعر**/ ابن طباطبا/ ت/ عباس عبد الستار/ ونعيم زرزور/ دار الكتب العلمية-بيروت لبنان.

٥٠. **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق/ دراسة تطبيقية على السور المكية**/ صبحي إبراهيم الفقي/ دار قباء-القاهرة/ ط١/ ١٤٣١هـ-٢٠٠٠م.

٥١. **الفروق النحوية بين التوابع** (عند ابن بري -ت ٥٨٢هـ، والسيوطي-ت٩١١ه/ في الأشباه والنظائر-دراسة وموازنة/ د/ أسماء السيد عمارة/ مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية/ عدد ٣٦/ ٢٠٢١م.

٥٢. **في ظلال القرآن**/ سيد قطب/ دار الشروق/ ط١/ ١٩٧٢م.

٥٣. **قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال**/ أبو الحسن علىٰ الحسني الندوي/ مؤسسة الرسالة.

٥٤. **كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر**/ أبو هلال العسكري/ عيسىٰ البابي الحلبي١٣٧١هـ-١٩٥٣م.

٥٥. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**/ الزمخشري/ دار الكتاب العربي/ بيروت-لبنان.

٥٦. **لسان العرب**/ ابن منظور/ دار صادر.

٥٧. **لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب**/ محمد خطابي/ المركز الثقافي العربي- بيروت- الدار البيضاء، ط١-١٩٩١م.

٥٨. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**/ ابن عطية/ ت/ عبد السلام عبد الشافي/ دار الكتب العلمية- ط١- ١٤٢٢م.

٥٩. **مدخل إلى علم النص-مشكلات بناء النص**/ زتسيسلاف واورزنياك/ ترجمة/ سعيد حسن بحيري/ مؤسسة المختار- القاهرة ط١ ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٦٠. **مشكل إعراب القرآن**/ مكي بن أبي طالب/ ت/ حاتم صالح الضامن/ مؤسسة الرسالة.

٦١. **المطول على التلخيص**/ سعد الدين التفتازاني/ المكتبة الأزهرية للتراث.

٦٢. **معجم ديوان العرب**/ إسحاق ابن إبراهيم بن الحسن الفارابي/ ت/ أحمد مختار عمر/ مؤسسة دار الشعب/ القاهرة.

٦٣. **معجم اللغة العربية المعاصرة**/ أحمد مختار عمر/ عالم الكتب-ط١-٢٠٠٨م.

٦٤. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**/ البغوي/ ت/ عبد الرزاق المهدي/ دار إحياء التراث العربي/ ط١/ بيروت ١٤٢٠م.

٦٥. **معاني القرآن وإعرابه**/ الزجاج/ ت/ عبد الجليل عبده شلبي/ عالم الكتب – بيروت/ ط١- ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٦٦. **معاني النحو**/ د/ فاضل السامرائي/ دار الفكر/ الأردن-ط١/ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٦٧. **مفتاح العلوم**/ السكاكي/ دار الباز-مكة المكرمة.

٦٨. **مفاتيح الغيب**/ فخر الدين الرازي/ دار الفكر -بيروت ط١ ١٤٠١هـ.

٦٩. **مقاييس اللغة** / ابن فارس/ ت/ عبد السلام محمد هارون/ دار الفكر/ ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٧٠. **من قضايا البلاغة والنقد عند عبد القادر الجرجاني**/ حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ/ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م.

٧١. **منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير**/ د/ نبيل أحمد صقر/ الدار المصرية/ ط١ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٧٢. **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**/ حازم القرطاجني/ ت/ محمد الحبيب بن الخوجه/ دار الغرب الإسلامي.

٧٣. **النبأ العظيم** / د/ محمد عبد الله دراز/ دار القلم الكويت/ ط٤.

٧٤. **نظم الدرر في ترتيب الآيات والسور**/ الإمام البقاعي/ دار الكتاب الإسلامي.